

الباب الثامن: وهو خاتم^(١) أبواب الرسالة، في إقامة الدلالة على أن الإمام [الحق]^(٢) بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وأقدم بين يدي ذلك هدايات مطالب اليقين وسبيل المؤمنين^(٣).

[الهداية]^(٤) الأولى: تضمنت نقض [عدة]^(٥) قواعد للروافض.

ملخصها: أنه [أجمع العلماء بعد الخلفاء الراشدين على اعتقاد^(٦)

الإمامة لبعض القرشيين مع أن فيهم من هو أفضل منه، من ذلك^(٧) / أنها [١٧٤/أ] انعقدت للحسن بن علي رضي الله عنه، ثم عقدها معاوية رضي الله عنه، وقام بالخلافة من غير معارض^(٨)، وقد جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الإمامة

(١) في (ب): خاتمة.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): هدايات هي معالم لسبيل المهتدين ومصابيح يهتدى بها إلى مطالب اليقين.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) في (ب): انعقاد.

(٧) أخرج الإمام مسلم في صحيحه ح (١٨٢١) (٣/ ١٤٥٢)، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: دخلت

مع أبي علي النبي ﷺ، فسمعتة يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بكلام خفي علي، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قریش».

انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٨/ ٢٣٨)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢١١)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٧٤٥).

(٨) انظر: تاريخ الطبري (٥/ ١٦٢)، البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٢٠).

شورى بين ستة من غير نكير عليه، مع أن فيهم عثمان وعلي عليهما السلام، وهما أفضل من غيرهما إجماعاً، ولو وجب تعيين الأفضل لعينهما^(١)، ومن أحسن ما يقال وأوضحه: أن الأفضلية الحققة أمر خفي، وربما أدى رعايتها والحالة هذه إلى نزاع وتشويش الأمر، قال التفتازاني تبعاً للإمام: "وإذا انصفت، فتعين الأفضل متعسر في أقل فرقة من فرق الفاضلين، فكيف في قریش مع كثرتهم وتفرقهم في الأطراف، ومن الإلزامات الحسنة المتوجهة على الرافضة: أن الخلاف في هذه المسألة والمعارضة فيها بالشروط التي اشترطوا وجودها في الإمام، إنما يصلح^(٢) للاحتجاج على أهل الحق دون الروافض، فإن الإمام عندهم منصوب ((من قبل الحق، لا من قبل الخلق، والحق))^(٣) تعالى لطيف بعباده، ولا يفعل إلا خيراً، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

[وأيضاً]^(٤) واشترطهم أن يكون الإمام معصوماً، متوقف على العلم القطعي بعصمته، وذلك مما لا سبيل للعباد إلى الاطلاع عليه، فإن قالوا بها قياساً على النبوة، لجامع إقامة الشريعة، وتنفيذ الأحكام، وحماية حوزة الإسلام، أجيبوا: بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث من الله تعالى، مقرونة دعواه

(١) انظر: صحيح البخاري ح (٣٧٠٠) (١٥/٥).

(٢) في (ب): تصلح.

(٣) في (أ): من قبل الحق، لأمر قبل الحق والخلق، والحق تعالى.

(٤) زيادة من (ب).

بالمعجزات الباهرة الدالة على عصمته من الكذب، وسائر الأمور المخلة بمرتبة النبوة، ومنصب الرسالة، ويأتي بالشرعية التي لا علم للعباد بها إلا من جهته، ولا كذلك الإمام فإن نصبه مفوض إلى العباد الذين لا سبيل لهم إلى معرفة عصمته واستقامة سريره، [وأما] ^(١) ((استفادته للشرعية)) ^(٢) فإنها هو بواسطة النبي ﷺ فيما بينه للناس، فإن قالوا: طاعته واجبة بالنص، قلنا: وجوب طاعته إنما هو فيما لا يخالف الشرع، وأيضاً: فإنما يحتاج [إلى] ^(٣) القول بعصمته: لو كان وجوب بمجرد قوله، وأما إذا كان وجوب الطاعة له، لكون أن أحكامه مستندة إلى حكم الله ورسوله ﷺ فيكفي العلم والعدالة، كالقاضي والوالي بالنسبة إلى الخلق، والشاهد بالنسبة إلى الحاكم، والمفتي بالنسبة إلى المقلد، وأمثال ذلك، ثم إن الإجماع عندهم إنما يكون حجة لاشتماله على قول المعصوم، فإثبات العصمة به دور، والاحتجاج بقوله سبحانه: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤) وأن ذلك عهد الإمامة، وأن غير المعصوم ظالم لنفسه أو لغيره والظالم ليس بأهل للإمامة، ((فجوابه)) ^(٥) مع ما سبق: أن من ليس له ملكة بالعصمة، لا يلزم أن يكون عاصياً بالفعل فضلاً

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (أ): واستفادة تشريعه.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) سورة البقرة: ١٢٤.

(٥) في (أ): فجواب.

عن أن يكون ظالماً، فإن المعصية أعم من الظلم، وليس كل عاص ظالماً على الإطلاق، / ودلالة الآية على من كان كافراً ثم أسلم ظالماً ممنوع، [١٧٥/أ] واستدلوا لهم بالآية على أن المراد بالعهد هو: الإمامة ممنوع أيضاً؛ لجواز أن يكون المراد: عهد النبوة والرسالة [على^(١)] ما هو رأي أكثر المفسرين^(٢)، وقالوا: الإمام يجب وجوده في كل زمان إماماً بعد إمام إلى الثاني عشر منهم ووجهوا لذلك أوجهاً تقدم [منها]^(٣) ستة^(٤)، والسابع منها: أنه لا بد للشرعية من ناقل ولا يجب في كل حكم، حكم أهل التواتر معنعناً إلى انقراض العصر، فلم يبق إلا^(٥) أن يكون إماماً معصوماً عن الخطأ، والجواب: أن الظن كان في البعض، فينقل بطريق الأحاد من الثقات، وأما القطعي فإلى أهل التواتر، أو جميع الأمة، ولا يجتمعون على ضلالة، بل لهم العصمة عن الخطأ، فلا حاجة إلى معصوم بالمعنى الذي قصدته الشيعة، هذا وقد علم أن إيجاب نصب إمام معصوم ((يعود))^(٦) إلى تكليف ما ليس في

(١) زيادة من (ب).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢/ ٢٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٢٠٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٤٠).

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) الذي تقدم ثلاثة فقط، أما الرابع والخامس والسادس فلم يذكرها المصنف ^{ههنا}، وهي موجودة في شرح المقاصد للفتازاني (٥/ ٢٤٧).

(٥) في (ب): إلى.

(٦) في (أ): تعود.

الوسع، [ثم] ^(١) وليت شعري بأي طريق نُقِلت إلى الرافضة الشريعة، على ^(٢) الإمام الذي لا يوجد منه إلا الاسم، ومكابرتهم في ذلك عين الخذلان ^(٣)، وبالله المستعان.

وما أحسن ما أجاب به الشيخ ^(٤) فخر الدين الرازي، في كتابه الأربعين، بعدما قرر شبههم المذكورة؛ بأنه لا بد للشريعة من ناقل، ولا بد أن يكون معصوماً، بأحسن التقارير وأبلغها، ثم أجاب عنها: "بأن الشريعة إنما تبقى محفوظة بنقل الناقل المعصوم كما زعموا، لو كان ذلك الناقل بحيث يرى، ويمكن الوصول إليه، والرجوع إلى قوله، أما إذا لم يكن كذلك؛ لم تصر الشريعة محفوظة بنقله فسقطت هذه الشبهة ^{(٥)(٦)}". انتهى.

الهداية الثانية: [استقرت آراء المحققين من علماء الدين على أن البحث عن أحوال الصحابة رضوان الله عليهم، وما جرى بينهم مما سيأتي بيانه، أنها ليس من العقائد الدينية والقواعد الكلامية، وليس تنفع ^(٧) في الدين، بل ربما

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): عن.

(٣) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٢٤٧).

(٤) في (ب): الإمام.

(٥) والشبهة هي: ادعاء وجوب العصمة للإمام.

(٦) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (٢/ ٢٦٤).

(٧) في (ب): ينفع.

تضر^(١) باليقين^(٢)، إلا أنهم ذكروا نبذاً من ذلك لأمرين:

أحدهما: صون الأذهان السليمة عن التدنس بالعقائد الرديئة، التي تضمنتها حكايات بعض الروافض ورواياتهم.

وثانيها: ابتناء بعض الأحكام الفقهية في باب البغاة عليها، إذ ليس في ذلك نصوص يرجع إليها، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا علي لم تعرف السيرة في الخوارج^{(٣)(٤)}].

الهداية الثالثة: في بيان أحوال رافضة هذا الزمان، ومن قبلهم إلى أوائل القرن الرابع، وذكر الفتاوى المصرحة بكفرهم، حيث كانوا معتقدين لما تقدم ذكره من ردة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم سوى من استثنوه، والسب الفاحش، ونحو ذلك، وهؤلاء الرافضة أخزاهم الله تعالى سيما الغلات منهم مقالات في بغض الصحابة^(٥)، والطعن فيهم، بناء^(٦) على / حكايات وافتراءات، [١٧٦/أ]

(١) في (ب): يضر.

(٢) انظر: اعتقاد أئمة الحديث لأحمد بن إبراهيم الجرجاني (٧٩)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة بالرياض، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ١٥٤).

(٣) لم أعثر عليه.

(٤) شرح المقاصد للتفازاني (٥/ ٣٠٤).

(٥) في (ب): البعض.

(٦) في (ب): والاعتقاد.

لم تكن من^(١) القرن [الأول، ولا في]^(٢) الثاني، والثالث^(٣)، ولا فيها بين^(٤) العترة الطاهرة، بل كان بناؤهم^(٥) على [عظماء]^(٦) الصحابة، وعلى السنة والجماعة، والمهتدين من خلفاء الدين، مشهوراً في خطبهم ورسائلهم وأشعارهم ومدائحهم، وقد تقدم الإشارة إلى ذلك وذكره بأوضح بيان، ثم خلف من بعدهم خلف زاغوا أزاع الله قلوبهم وضلوا فأضلوا^(٧) كثيراً، وسيصلون جهنم وساءت مصيراً، قال صاحب الخلاصة^(٨): "الرافضي إذا كان يسب الشيخين ويلعنهما فهو كافر"^(٩).

[وهذه فروع نفيسة:

ومنها: بيان أمرين: الأول: في بيان ما هو المفتى به من تكفير ساب الشيخين.

(١) في (ب): يكن في.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): زيادة: ولا في القرن السابق.

(٤) في (ب): من.

(٥) في (ب): ثناؤهم.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ب): وأضلوا.

(٨) اسم الكتاب: الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية لمحمد العربي القروي، ويقع في مجلد واحد.

(٩) انظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٢٣٧). ولم أجده في الخلاصة.

الثاني: في بيان أنه مردود الشهادة بإجماع من حقق النصين، وذلك إذا قلنا بعدم التكفير على أحد الوجهين.

فأقول وبالله تعالى اعتصم من كلما يصم: اتفق العلماء على أن من استحل حراماً تعلق في الدين بالضرورة تجرعه يكون كافراً، فمن استحل سب الصحابة فهو كافر؛ لأن أدنى مراتبه أنه مجرم فاسق، واستحلال الحرام والفسق كفر^(١)، وقد حقق الإمام السبكي تقي الدين^(٢) تغمده الله تعالى برضوانه، في كتابه المسمى: بغيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي^(٣)، أن تحريم سب الصحابة معلوم من الدين بالضرورة، وقرر ذلك بأحسن تقرير، وأتقن تحقيق وتحريم، ثم ولما حج أحد الوجهين القائل: بتكفير من سب الشيخين أو الختنين^(٤)، فإن لم يستحل ذلك؛ لأن الأمة أجمعت على إمامتهم، وذكر عدة من المآخذ القوية، لذلك أورد على نفسه قول القاضي حسين الدين^(٥)، جزم به في كتاب الشهادات، وهو تفسيق ساب الصحابة، ولم يحك به خلافاً، وكذلك قول جماعة من أئمة الشافعية،

(١) انظر: المغني لابن قدامة (١١/٩)، الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٥٨٦).

(٢) أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري تقي الدين السبكي، المفسر، المقرئ، المحدث الأصولي، الفقيه، الشافعي، الأشعري، من تصانيفه: السيف المسلول على من سب الرسول، مختصر طبقات الفقهاء، توفي سنة ست وخمسين وسبع مائة. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (١٦٦/٢١)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٤٣/١٠).

(٣) لم أعثر عليه

(٤) الختنان: هما عثمان وعلي رضي الله عنهما.

(٥) لم أعثر عليه.

وحكوه عن الإمام الشافعي^(١)، يكون ذلك ترجيحاً بعدم الكفر، وأجاب
تغمده الله تعالى برضوانه عن ذلك وبين أن من هذا المقام حالتين:
الأولى: المذكورة في الشهادات في السب لمطلق الصحابة.

والثانية: المذكورة في الإمامة في سب الشيخين والختين وهي محل
الوجهين من الكفر والفسق، ثم قال: ولا مانع من أن يكون سب مطلق
الصحابة موجباً للفسق، وسب هؤلاء الأربعة المخصوصين مختلفاً في كونه
موجباً للكفر أو الفسق، ثم قال في آخر كلامه ملخصه أن سب أبا بكر رضي الله عنه
على مذهب أبي حنيفة^(٢)، وأحد الوجهين عند الشافعية كفر^(٣)، وكذا في تخريج
عن مالك^(٤)، وعند أحمد: زندقته^(٥)، وجزم الأمانة المحاملي^(٦) في كتابه:

(١) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٢/ ٣٢٩).

(٢) انظر: الجوهرة النيرة لعلی بن محمد الزبيدي (٢/ ٢٧٦)، المطبعة الخيرية.

(٣) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٢/ ٣٢٩)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضللال والزندقة
لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (١/ ١٢٩)، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي و كامل محمد
الخرائط، مؤسسة الرسالة.

(٤) انظر: شرح مختصر خليل لمحمد بن عبدالله الخرشي (٨/ ٧٤).

(٥) انظر: مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبدالله للإمام أحمد بن حنبل بن هلال (٤٣١)، تحقيق:
تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ببيروت.

(٦) أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الضبي المحاملي الفقيه الشافعي، رزق من الذكاء وحسن الفهم ما أربى
أربى على أقرانه، وبرع في الفقه، من تصانيفه: المجموع، والمقنع، توفي سنة خمس عشرة وأربعمائة. انظر:
طبقات الفقهاء الشافعية لعثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح (١/ ٣٦٦)، تحقيق: محيي الدين علي
نجيب، دار البشائر الإسلامية ببيروت، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٧٤).

اللباب^(١) أن ساب الشيخين كافر، وقال الإمام مالك: من قال إن أحداً منهم على ضلال قتل^(٢)، وقد قتل قاضي القضاة المالكي رجلاً سب الشيخين وعثمان وجماعة من الصحابة بعدما استتيب فلم يتب، وصبوب الإمام السبكي فعله، وألف في تصويبه الكتاب المذكور آنفاً، وسئل العلامة ((محمد))^(٣) بن يوسف الفريابي^(٤) عن من شتم أبا بكر؟ فقال: كافر، قيل: أيصلي عليه؟ قال: لا^(٥)، وممن كفر الرافضة أحمد بن يونس^(٦) وأبو بكر بن هانئ^(٧) العالمان الجليلان، فقالا: لا تأكل ذبائحهم؛ لأنهم مرتدون، وكذلك

(١) اللباب في الفقه الشافعي لأحمد بن محمد ابن المحاملي الشافعي. لكن لم أجد المسألة فيه.

(٢) انظر: مواهب الجليل شرح مختصر خليل لمحمد الطرابلسي المغربي، المعروف بالخطاب الرُّعيني (٢٨٦/٦)، دار الفكر.

(٣) في (ب): أحمد.

(٤) أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابي الضبي مولاهم، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، الثقة، كان رجلاً صالحاً، أبو عبدالله الضبي مولاهم، توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين. انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث لأبي يعلى الخليلي (٤٧٢/٢)، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد، سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٤/١٠).

(٥) انظر: المغني لابن قدامة (٤١٦/٢).

(٦) أبو عبدالله أحمد بن عبدالله بن يونس التميمي، اليربوعي، الكوفي، الإمام، الحجة، الحافظ، كان عارفاً بحديث بلده، توفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين. انظر: الطبقات الكبرى متمم التابعين لابن سعد (٤٦)، سير أعلام النبلاء (١٠/٤٥٧).

(٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الإسكافي الأثرم، أحد الأعلام، والحفاظ، وتلميذ الإمام أحمد، وكان وكان عالماً بتوآليف ابن أبي شعبة، لازمه مدة، من تصانيفه: علل الحديث، السنن، توفي سنة إحدى وستين ومائتين بمدينة إسكاف. انظر: طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى (١/٦٦)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، سير أعلام النبلاء (١٢/٧٣٣).

قال عبدالله بن إدريس الكوفي^(١) أحد أئمة الكوفة^(٢)، ومن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر: عبدالرحمن بن أبزي الصحابي^(٣) [٤]، وفي البزازية^(٥) من أنكر خلافة أبي بكر فهو كافر على الصحيح، ومنكر خلافة عمر كافر في الأصح^(٦) وقال الإمام الكاساني^(٧) ومن أنكر إمامة أبي بكر فهو

(١) أبو محمد عبدالله بن إدريس بن يزيد بن عبدالرحمن الأودي الكوفي، الإمام، الحافظ، المقرئ، القدوة، كان يسلك في كثير من فتياه ومذاهبه مسالك أهل المدينة، يخالف الكوفيين، وكان بينه وبين مالك صداقة. ومات بالكوفة، توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة بالكوفة. انظر: طبقات خليفة بن خياط لأبي عمرو خليفة بن خياط (٢٩٠)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، سير أعلام النبلاء (٤٦/٩).

(٢) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية (٥٧٠).

(٣) عبدالرحمن بن أبزي الخزاعي، مولى نافع بن عبدالحارث الخزاعي، الصحابي، سكن الكوفة، واستعمله علي عليه السلام على خراسان. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/١٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٨٢٢/٢).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) الفتاوى البزازية لمحمد بن شهاب البزاز الكردي.

(٦) لم أجده في البزازية، لكن وجدته في: الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن لابن حجر الهيتمي (١٣٨/١).

(٧) انظر: فتاوى السبكي لعلي بن عبد الكافي السبكي (٥٨٠/٢)، دار المعرفة.

(٨) أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، علاء الدين الحنفي، أمير كاسان، وكان فقيهاً عالماً صحيح صحيح الاعتقاد، من تصانيفه: بدائع الصنائع، توفي سنة سبع وثمانين وخمس مائة. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب لعمر بن أحمد العقيلي، ابن العديم (٤٣٤٨/١٠)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي (٢/٢٤٤)، مير محمد كتب خانه بكراتشي.

فهو كافر، وقال بعضهم: هو مبتدع ضال وليس بكفر^(١)، قال شيخ الإسلام ابن الشحنة^(٢) ((والصحيح))^(٣) أنه كافر، وكذا من أنكر خلافة عمر في أصح أصح الأقوال^(٤)، وقد أطبق علماء زماننا من أهل السنة والجماعة على تكفير الروافض القزلباشية^(٥) وسائر من اعتقد معتقدهم، وعلى جواز قتالهم وقتلهم، وكيف لا واستخفافهم بالسنة النبوية^(٦)، والأحاديث الشريفة النبوية أمر مشهور، وبالسنة المخالف والموافق به كذلك^(٧)، والكتب الشرعية عندهم في غاية الحقارة، ويعتمدون^(٨) إحراقها ورميها في مواضع النجاسة، ويقتلون علماء أهل السنة مستحلين لقتلهم على وجه القربة،

(١) انظر: فتاوى السبكي (٢/ ٥٧٦).

(٢) محمد بن محمد بن محمود الثقفي، محب الدين أبو الفضل، المعروف بابن الشحنة، تفقه وتفطن، وأعتنى بالأدب، ونظم الشعر الحسن، وأنشأ النثر، وولي كتابة السر بالقاهرة، ثم قضاء الحنفية بها، من تصانيفه: طبقات الحنفية، توفي سنة تسعين وثمانمائة. انظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان لجلال الدين السيوطي (١/ ١٧١)، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية.

(٣) في (أ): في الصحيح.

(٤) انظر: الصواعق المحرقة على أهل الرافض والضلال والزندقة لابن حجر الهيتمي (١/ ١٣٩).

(٥) القزلباش: لفظ تركي، معناه: ذو الرأس الأحمر، وهم شيعة إمامية، والآن اسم قزلباش في بلاد إيران مشهور، وفي الهند يسمون كل إيراني أو شيعي قزلباش، وفي إيران يسمون الجندي قزلباش. انظر: أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/ ٢٠).

(٦) في (ب): السنية.

(٧) في (ب): والموافق المذكور.

(٨) في (ب): ويعتمدون.

ويستحلون كثيراً من المحرم قطعاً، ويلعنون الشيخين صريحاً على تعاقب الأوقات، ولقد رأيت في مصنف لابن عبد العال ملأ الله قبره وقلبه^(١) ناراً، أن من شك في أنها أكفر من فرعون وهامان وقارون فهو كافر، وأفتى أن لعنها في الركعتين الأخيرتين من الصلاة الرباعية مغن عن السورة، ويذكرون أم المؤمنين عائشة بالسوء، عليهم دائرة السوء.

[الأمر الثاني في بيان أن الرافضة لا تقبل شهادتهم]

أقول لم نر خلافاً من السلف والخلف أن سب الشيخين كبيرة ومعدودة في الكبائر، وإذا نظرت في حد الكبيرة وجدته منطبقاً على ذلك فقد عرف أكثر العلماء: أن الكبيرة ما توعد عليه^(٢)، ويشهد له ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعن أو عقاب فهو كبيرة^(٣)"، وروى البيهقي في الشعب عنه قال: "كل ما نهى الله عنه كبيرة^(٤)"، وعرفوا الكبيرة أيضاً بأنها: "كل جريمة تؤذن بقلّة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة^(٥)"، وعد فيها سب الصحابة.

(١) في (ب): قلبه وقبره.

(٢) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٢٢٢ / ١١)،

تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: شعب الإيمان لأبي بكر للبيهقي (٢٧٠ / ١)، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٢٧٣ / ١).

(٥) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٢٢٢ / ١١).

وها أنا أورد نبذة من الأحاديث الشريفة دليلاً على ما قلته، ثم أذكر أقوال العلماء المصرحة برد شهادة الرافضة، ثم الجواب عما تمسك به من قال بقبولها، فهماً من كلام السادة الشافعية.

فمن الأحاديث الشريفة: ما رواه الطبراني^(١) في معجمه، والحميدي^(٢) في مسنده، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل لي وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٣)، وروى الترمذي عنه ﷺ أنه قال: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي، ومن أبغضهم فببغضي، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، كان حافظ عصره، رحل في طلب الحديث، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة، من تصانيفه: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، توفي سنة ستين وثلاثمائة بأصبهان. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٤٠٧)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٨٥).

(٢) أبو بكر عبدالله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي الحافظ الفقيه، من تصانيفه: المسند، توفي بمكة سنة تسع عشرة ومائتين. انظر: فتح الباب في الكنى والألقاب لابن منده العبدى (١٢٧)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ٣).

(٣) المعجم الكبير للطبراني ح (٣٤٩) (١٧/ ١٤٠)، وضعفه الإمام محمد ناصر الدين الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٢٢١)، المكتب الإسلامي، ولم أجده في مسند الحميدي.

يوشك أن يأخذه»^(١)، وروى الإمام أبو يعلى^(٢) في مسنده عن جابر رحمته الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس يكثرون، وأصحابي يقلون، فلا تسبوهم، لعن الله من سبهم»^(٣)، وروى البزار^(٤) في مسنده عن ابن عباس رحمتهما الله عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في الزمان قوم تسمى: الرافضة يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم»^(٥)، واحتج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رحمتهما الله عن

(١) أخرجه الترمذي في سننه ح(٣٨٦٢)(٥/٦٩٦)، وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ح(٦٤٧)(١/٤٥٧): "رواه عبدالله بن عبدالرحمن بن يعلى الطائفي: عن عبدالله بن مغفل. وعبدالله ضعيف، وهذا أنكر ما روى"، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي(٥/٦٩٦).

(٢) أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي بن المثنى التميمي، الحافظ، الثقة، محدث الجزيرة، من تصانيفه: المسند، توفي سنة سبع وثلاثمائة. انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي(٢/٦١٩)، تذكرة الحفاظ للذهبي(٢/٢٠٠).

(٣) أخرجه الإمام أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي في مسنده ح(٢١٨٤)(٤/١٣٣)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ح(١٦٤٣٣)(١٠/٢١): "فيه محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك".

(٤) أبو بكر البزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، الحافظ، الإمام، من تصانيفه: المسند، توفي بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين. انظر: فتح الباب في الكنى والألقاب(١٥٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي(٢/١٦٦).

(٥) مسند الإمام أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار ح(٤٩٩)(٢/١٣٨)، لكن بلفظ آخر: «يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام». قال ابن الجوزي: "وهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ".

وقال العقيلي: "حجاج لا يتابع على هذا الحديث، وقال: يحيى وعمران بن زيد لا يحتج بحديثه". انظر: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لجمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي ح(٢٥٦)(١/١٦٠)، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية بباكستان.

النبي ﷺ أنه قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين»^(١)، وإذا عرفت أن السب للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كبيرة بلا خلاف؛ عرفت أن الساب لهما لا تقبل شهادته وسيأتي ما يزيد ذكره قوة وبياناً، وقد تقدم كلام السادة الحنفية فيما قيل في حق المسألة، إذاً ما مذهب الإمام الشافعي؟ نلخص ما تحرر في المسألة: أن ساب الشيخين فيه وجهان: أحدهما: أنه كافر، والثاني: أنه فاسق وعليه الفتوى^(٢)، فحينئذ لا يخلو الحال فيه من أحد هذين الأمرين إما الكفر وإما الفسق، ولا تقبل شهادة متصف بواحد منهما قطعاً، وقد جزم النووي^(٣) بذلك بأن فتوى من سب الشيخين مردودة وأقوالهم ساقطة، حكى ذلك في أول شرح المذهب^(٤)، وحكاه في الروضة في باب القضاء عن الخطيب^(٥)

(١) أخرجه أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩٦/٤)، دار السعادة. وقال أبو نعيم: غريب من حديث ميمون، تفرد به محمد بن زياد.

(٢) انظر: الحاوي الكبير للماوردي (٣٢٩/٢)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقه لابن حجر الهيتمي (١٢٩/١).

(٣) محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، الشافعي، الحافظ، الزاهد، الصالح، من تصانيفه: شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والأذكار، توفي سنة ست وسبعين وستمائة. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٧٤/٤)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٩٥/٨).

(٤) انظر: المجموع شرح المذهب ليحيى بن شرف النووي (٤٢/١)، دار الفكر.

(٥) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الشافعي، المعروف بالخطيب، كان من الحفاظ المتقنين العلماء المتبحرين، وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ، من تصانيفه: تاريخ بغداد، السابق

وأقره^(١)، وبه قال الغزالي^(٢)، والبغوي^(٣)، والرافعي^(٤) في باب الشهادات، لكن وقع في هذا الباب من زيادات الروضة تعميم قبول المبتدعة، حتى استشكل الجمع بينه وبين كلامه في باب القضاء وشرح المذهب، وهي الشبهة التي تمسك بها من قال بالقبول، وفي الجواب: أن المبتدعة التي قال

واللاحق، والفقهاء والمتفقه، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٩٣/١)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٢١/٣).

(١) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (١٠٩/١١)

(٢) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب الذكاء المفرط، مر في حياته بعدة أطوار من التصوف وعلم الكلام، ثم في آخر حياته أكب على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، من تصانيفه: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الخلاصة، توفي سنة خمس وخمسمائة. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢١٨/٤)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤٦/١٩).

(٣) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفراء، البغوي، الفقيه، الشافعي، المحدث، المفسر، كان بحراً في العلوم، من تصانيفه: التهذيب، ومعالم التنزيل، والجمع بين الصحيحين، توفي سنة عشرة وخمسمائة بمرورود. انظر: وفيات الأعيان (١٣٦/٢)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٧٥/٧).

(٤) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٢٤٠/١١).

(٥) أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسين الرافعي، القزويني، شيخ الشافعية، وكان من العلماء العاملين، يذكر عنه تعبد، وتواضع، وانتهت إليه معرفة المذهب، من تصانيفه: الفتح العزيز في شرح الوجيز، وشرح مسند الشافعي، توفي سنة ثلاث وعشرين وست مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٥٤/٢٢)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٨١/٨).

(٦) انظر: المجموع شح المذهب للنووي (٣٧١/٣١).

النووي بقبولهم هم: من لا يفسق بدعته، إذ الكلام فيهم كالشيعي القائل بتفضيل علي عليه السلام، وكمنكر القدر والرؤية ونحوهما ممن له تأويل، فقد علل ذلك العلماء بأن العداوة في الاعتقاد لا تقدح في العدالة، وقد عرفت أن سب الشيخين كبيرة قاذحة ((فيها))^(١)، نوضح المسألة أحسن توضيح، أن النووي رحمته الله قال في الموضعين وهما في شرح المذهب وفي الروضة في باب القضاء قبل ذكره بعدم قبولهم ما نصه: أن المبتدع الذي لا نكفره ولا نفسقه فإنه يقبل على الصحيح، ثم عقبه بساب الصحابة والسلف وأنه مردود^(٢)، فعلم أن ما ذكره في باب الشهادات محمول على ما ذكره هناك وإنما أطلق هنا حملاً عليه.

ولما علم من قاعدة الباب أن الفاسق لا تقبل، فالسب مردود بوصف الفسق لا لخصوص وصف الابتداع، ومن خيل له الشيطان أن لساب الشيخين تأويلاً يخرجهم عن الفسق فقد ارتكب بهتاناً وإثماً مبيناً كبيراً، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «سباب المسلم فسوق»^(٣) فإذا كان هذا في آحاد المسلمين فما ظنك بأفضل الأمة وأكرم الخليقة بعد النبيين والمرسلين، ثم من أصحاب بيعة الرضوان، وفيه العشرة المبشرة، والبدعة كما قاله الذهبي في ميزانه على

(١) في (ب): قاذحة في فيها.

(٢) انظر: المجموع شرح المذهب للنووي (١/ ٤٢)، روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٢٠٩، ٢٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ح (٤٨) (١/ ١٩).

ضربين: "صغرى: كالتشيع، وهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلا يرد حديثهم، وكبرى: كالرفض والخط على أبي بكر وعمر فهذا النوع لا يحتج به ولا كرامة، قال: ولا استحضر من هذا النوع صادقاً ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم والتقية دثارهم"^(١) انتهى.

إن من تخيل أن لقبول ساب الصحابة وجهاً وتأويلاً فليعلم أن هذا وإن كان فاسداً فالشيخان خارجان من ذلك قطعاً، إذ تأويلهم إنما هو فيمن خامر الفتن ولا بس قتل عثمان رضي الله عنه أو قاتل علياً رضي الله عنه فالشيخان مبرآن من ذلك رضي الله عنهما، ولهذا أجري الخلاف في تكفير سابيها وساب عثمان وعلي دون غيرهما من الصحابة وإن كان تأويلهم في ذلك باطل مردود"^(٢)، هذا وإن وجد التواريخ المنقولات عن السنة الثقات أنهم قد وقع بينهم المقاتلة بالسنان والمقاولة باللسان بما يكره لكونه وقية في بعضهم من بعض، وصدرت بينهم المجازيات الدالة بظاها على أن الباعث على ذلك الحقد والبغضاء والحسد وطلب الملك والرئاسة إذ ليس كل صحابي معصوماً.

فالجواب عنه: أن المعادلة والمحاسنة في الكلام كانت لمجرد نسبة إلى الخطأ وتغريب على قلة الناقل وقصداً للرجوع إلى الحق، ومقاتلتهم كانت لارتفاع التباين، والعود إلى الألفة وإجماع كلمة الإسلام، حيث لم يكن طريق

(١) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (١/ ٥)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة ببيروت.

(٢) انظر: إقام الحجر لمن زكى ساب أبي بكر وعمر رضي الله عنه للإمام جلال الدين السيوطي (١٠).

سوى ذلك، وقد رأى العلماء رضوان الله عليهم أن حسن الظن بأصحاب النبي ﷺ هو الأقوم والسبيل الأسلم، سيما وقد ذكروا لاختلافاتهم محامل وتأويلات تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار، والمبشرين بالثواب في دار القرار، قال مولانا الشيخ سعد الدين التفتازاني: "وأما ما جرى بعدهم في الظلم على أهل بيت النبي ﷺ فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، إذ تكاد تشهد به الجهاد والعجماء، ويبكي له من في الأرض والسماء، وتنهد منه الجبال، وتنشق الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور، ومر الدهور، فلعنة الله على من باشر أو رضي أو سعى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، فإن قيل فمن علماء المذاهب من لا يجوز اللعن على يزيد، مع علمه بأنه يستحق ما يربوا على ذلك^(١)، ويزيد قلنا تحامياً عن أن يرتقي إلى

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في لعن يزيد: أنهم لا يجوزون لعنه، لأنه لا يجوز لعن الفاسق المعين، كما نص عليه الأئمة رحمهم الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "افترق الناس في يزيد بن معاوية ثلاث فرق: طرفان ووسط. فأحد الطرفين: كفروه، والطرف الآخر: غلوا فيه، والطرف الثالث: قالوا إنه كان ملكاً من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، ولم يولد إلا في خلافة عثمان رضي الله عنه ولم يكن كافراً؛ ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين، وفعل ما فعل بأهل الحرية، ولم يكن صاحباً ولا من أولياء الله الصالحين، وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة. ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة لعنته، وفرقة أحبتة، وفرقة لا تسبه ولا تحبه، وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين".

=

الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض على ما يرى في أدعيتهم ويجري في
أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية طريقاً إلى الاقتصاد
في الاعتقاد، وبحيث لا تزل الأقدام عن السواء، ولا تضل الأفهام
والأهواء، وإلا فمن يخفى عليه الجواز والاستحقاق؟ وكيف لا يقع عليهما
الاتفاق؟ وهذا هو السر فيما نقل عن السلف من المبالغة في مجانبة أهل
الضلال، وسد طريق لا يؤمن من أن يجر إلى الغواية في المآل، مع علمهم
بحقيقة الحال، وجليّة المقال، وقد انكشف لنا ذلك حين اضطربت الأحوال،
واشرأبت الأهوال، وحيث لا متسع ولا مجال، والمشتكى إلى عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال^(١) [٢]^(٣) [وقد أجمع علماء الأمصار والأعصار على أن
قتل هؤلاء حلال ما أصروا على ذلك^(٤)، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا
مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٥)].

انظر: فتاوى ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (٢١٦)، تحقيق: موفق عبد الله
عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٨٣)، سير أعلام النبلاء
للذهبي (٤/٣٦)، الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر
الهيتمي (٢/٦٣٧)،

(١) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/٣١١).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) فيقتلون لأنهم مرتدون، والمراد إن لم يتب قتل. انظر: المغني لابن قدامة (٩/٦).

(٤) سورة آل عمران: ٨.

(٥) ساقطة من (ب).

ونشرع في الكلام على ما هو مقصود الباب^(١)، [ومن الله استمد
التوفيق إلى الصواب]^(٢)، فأقول: أطلق علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة
وعلماء المعتزلة وأكثر الفرق الإسلامية على أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ
هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، [ويدل]^(٣) لذلك وجوه [كثيرة]^(٤) قوية قويمة،
وقد تقدم بعضها مفصلاً، والقصد الآن إلى إيراد ما حضر منها على وجه
الإجمال: ومنها^(٥):

وهو الوجه الأول: وقد حكاه في شرح المقاصد قال: "وهو العمدة:
إجماع أهل الحل والعقد على ذلك، وإن كان البعض منهم تردد أو وتوقف
على ما روي أن الأنصار قالوا / "منا أمير ومنكم أمير"^(٦)، وأن أبا سفيان
قال: "أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي عليكم يتيماً، والله لأملأن الوادي
خيلاً ورجلاً"^(٧)، وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف في بيته يومئذ ومعه
طلحة والزبير ومن معهما، فأرسل أبو بكر وعمر أبا عبيدة إلى علي رضي الله عنه

(١) في (ب): وهذا وإن الشروع في مقصد الباب.

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ب): فمنها.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ح (٣٦٦٨) (٥/٦).

(٧) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/١٨٧).

رسالة لطيفة، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني: روتها الثقات، وهي الرسالة التي يختم بها هذا التأليف^(١)، ثم جاء علي عليه السلام وبائع الصديق عليه السلام، وكذلك سائر من تخلف.

ثم إن الإجماع على إمامته إجماع على أهليته لذلك، مع أنها من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان^(٢).

الوجه الثاني: وقد اعتمده الإمام الرازي في الأربعين، وقال: "والمعتمد في المسألة أن الأمة مجمعة^(٣) على أن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إما أبو بكر وإما علي وإما العباس عليه السلام، وبطل القول بأن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي أو ((العباس))^(٤)، فوجب القطع بأن الإمام الحق هو أبو بكر عليه السلام، قال: وكل من نظر في كتب السير علم وتيقن [أن]^(٥) اتفاق الأمة من الأنصار والمهاجرين بأنه ليس أحد إلا هؤلاء الثلاثة، ولم يكن علياً عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العجز إلى حيث لا يمكنه طلب حق نفسه، وما كان أبو بكر عليه السلام في القوة والسلطنة بحيث يمكنه غضب الحق من علي عليه السلام، ولقد كان علي عليه السلام في غاية الشجاعة والشهامة، وكانت

(١) في (ب): الباب.

(٢) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/٢٦٣).

(٣) في (ب): مجمعة.

(٤) في (أ) و(ب): عباس.

(٥) ساقطة من (ب).

فاطمة عليها السلام مع علي منصبها زوجة له، والحسن والحسين عليهما السلام ابنيه والعباس عليه السلام مع علو منصبه معه، وطلحة والزبير عليهما السلام، وهما ما هما معه، وقد تقدم ما قاله أبو سفيان، والأنصار أرادوا أن يكون منهم أمير، وما دفعهم إلا أبو بكر عليه السلام بقوله عليه السلام: «الأئمة ((من))»^(١) قریش»^(٢)، فلو كان منصوباً على علي عليه السلام نصاً جلياً ظاهراً لا ممتنع في [طريق]^(٣) العقل المتين، والدين المبين أن لا يتفوهوا بذلك علانية، فضلاً عن القيام به، فإن من المعلوم أن الخصم ذا القوة إذا وجد مثل هذا الطعن لا يتركه بل ينازع، فلما لم يحصل من علي عليه السلام منازعة بوجه من الوجوه، ولا محابة ولا دعوى بنص ظاهر، علمنا قطعاً أن إمامة الصديق عليه السلام صحيحة بلا ريب ولا شبهة، قال الإمام: واعلم أن اعتقاد الإثنى عشرية في هذا الباب عجيب؛ وذلك أنهم إذا وصفوا علياً عليه السلام بالشجاعة والشوكة بالغوا في ذلك الوصف إلى حد يخرجون به عن دائرة المعقول، وقد ذكرت من ذلك جملاً متعددة، وإذا تكلموا في هذه المسألة وصفوا علياً عليه السلام بالعجز، ويبالغون فيه غاية المبالغة بحيث يخرجونه / عن المعقول، ثم حرر الإمام بحثاً بأن قال: وجدنا علياً [أ/١٧٨] والعباس عليهما السلام تركا المنازعة مع أبي بكر عليه السلام وبايعاه وسلماله الأمر،

(١) في (أ) و(ب): في.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (١٢٣٠٧) (١٩/٣١٨)، وصححه ابن حجر في فتح الباري لابن

(١٣/١١٤)، والألباني في صحيح الجامع الصغير (١/٥٣٥).

(٣) ساقطة من (ب).

ولم ينازعه كما نازع علي عليه السلام معاوية عليه السلام وذلك الترك إما: للعجز، أو مع القدرة، لا جائز أن يكون للعجز كما تقدم، وقد ثبت أنها تركا المنازعة مع أبي بكر عليه السلام، فإن كانت الإمامة حقاً لواحد منهما؛ كان ترك المنازعة معصية كبيرة توجب الانعزال وتخل بالعصمة الواجبة عند الإثنى عشرية، وإذا ثبت الانعزال ثبت القول بإمامة أبي بكر عليه السلام، وإن لم تكن الإمامة حقاً لهما وجب أن تكون حقاً لأبي بكر عليه السلام كيلا يخرج الحق عن جميع أقوال الأمة. ثبت أنه لا بد على كل حال من الاعتراف بإمامة أبي بكر عليه السلام ^(١).

الوجه الثالث: "قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٢) وعد سبحانه بالخلافة لجماعة من المؤمنين المخاطبين، ولم يثبت ذلك لغير الأئمة الأربعة فثبت لهم على الترتيب.

الوجه الرابع: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ^(٣) جعل الداعي مفترض الطاعة، والمراد به عند أكثر المفسرين أبو بكر عليه السلام، والقوم: بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب،

(١) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (٢/ ٢٧٠).

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) سورة الفتح: ١٦.

وقيل: قوم فارس، فالداعي عمر رحمته الله وفي ثبوت خلافته ثبوت خلافة أبي بكر رحمته الله، وبالاتفاق لم يكن ذلك علياً رحمته الله؛ لأنه لم يقاتل في خلافته الكفار^(١).

الوجه الخامس: قوله رحمته الله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»^(٢)، فإن قوله: اقتدوا صيغة أمر، [ودخل في الخطاب علي رحمته الله فيكون مأموراً بالاعتداء، ولا يؤمر الأفضل ولا المساوي بالاعتداء سيما عند الشيعة، وهذه الصيغة]^(٣) للوجوب أو الندب، وعلى التقديرين فإنه يدل على جواز الاعتداء بهما في الأحكام، ولو كانوا على الخطأ والضلال لما جاز ذلك.

وللروافض في هذا تحريفات ضالة منها: "قولهم فلعله عليه السلام قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»، فأمر أبا بكر وعمر بالاعتداء باللذين يبقيان بعده، وهو كتاب الله وعترته^(٤)."

أجيب: بأن هذا يجري مجرى التحكم وهو ظاهر الفساد.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢٢/٢١٩)، معالم التنزيل للبغوي (٤/٢٢٦)، الكشف للزخشري (٤/٣٣٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (٢٣٢٤٥) (٣٨/٢٨٠)، والترمذي في سننه ح (٣٦٦٢) (٥/٦٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ح (١١٤٢) (١/٢٥٤).

(٣) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/٢٦٥).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) في (ب): قوله لعله.

(٦) انظر: الصراط المستقيم للعاملي (٣/١٢٨).

وقالوا: "هذا الخبر ليس فيه ما يدل على وجوب الاقتداء بهما في الإمامة، بل يحتمل أنه إنما أراد في الرأي والمشورة"^(١).

أجيب: بأن إمامته لو كانت باطلة كانت آراؤه فيها باطلة، ومشورته كذلك، وحاشا رسول الله ﷺ أن يأمرنا باتباع المبطل.

قالوا: "لعل الرواية اقتدوا بالذين من بعدي أبا بكر وعمر أي بأرائهما"^(٢).

أجيب: بأن فتح باب هذه التحريفات يفضي إلى سقوط الوثوق بالقرائن وجمع الأخبار / فإن الاستدلال بالدلائل اللفظية لا تتم إلا مع ((الإعراب))^(٣)، فإذا وجهنا الطعن إلى الإعرابات^(٤) سقط^(٥) التمسك بالكل^(٦).

"الوجه السادس: قوله ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً عضواً»"^(٧)، أي: ينال الرعية ظلم كأنهم يعضون عضاً، وكانت

(١) انظر: نفحات الأزهار لعلّي الميلاني (٤٣٧).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤٣٧).

(٣) في (أ): الاعتراف.

(٤) في (ب): الإعراب.

(٥) في (ب): اسقط.

(٦) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (٢/ ٢٩١).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (٢١٩٢٨) (٣٦/ ٢٥٦)، والترمذي في سننه ح (٢٢٢٦)

(٤/ ٥٠٣)، وصححه الألباني في الجامع الصغير ح (٣٣٤١) (١/ ٦٣٠). لكن كلمة: عضواً،

ليست موجودة.

خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وشيء، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين،
وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين
تنقص شيئاً^(١).

الوجه السابع: قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه: «أئتوني بكتاب
وقرطاس أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف فيه اثنان، ثم قال: يا أباي الله
والمسلمون ألا أبا بكر^(٢)»^(٣)، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال
[لي] ^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه: «دعي إلي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتاباً،
فإني أخاف يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا
بكر»^(٥)، قال السيد الشريف^(٦): "يتمنى متمن": فيه إشارة إلى خلافته كما
لا يخفى، وقوله: أنا أولى أي: أنا استحق الخلافة ولا يستحقها غيري"^(٧)، وفي

(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٧٢٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (٢٤١٩٩) (٤٠/ ٢٣٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير
ح (٢٤٩) (١/ ٣).

(٣) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٢٦٦).

(٤) ساقطة من (ب).

(٥) صحيح مسلم ح (٢٣٨٧) (٤/ ١٨٥٧).

(٦) علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي، ويعرف بالسيد الشريف أبو الحسن، عالم،
أشعري، من تصانيفه: شرح المواقف للإيجي، شرح التذكرة النصيرية في الهيئة، حاشية على
تفسير البيضاوي، توفي سنة ٨١٦هـ. انظر: الضوء اللامع للسخاوي (١١/ ١٧٤).

(٧) لم أجده.

وفي كتاب الجهمي^(١) أنا أولى يدل أنا ولا، وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم^(٢)".

الوجه الثامن: أن المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣) كانوا يقولون له: يا خليفة رسول الله^(٤).

الوجه التاسع: أن النبي ﷺ استخلفه في الصلاة التي هي أساس الشريعة ولم يعزله^(٥)، ورواية العزل افتراء من الروافض، ولهذا لما قال أبو بكر رضي الله عنه: "أقبلوني فلست بخيركم" قال علي رضي الله عنه: "لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله فلا نؤخرك، رضيك لديننا فنرضاك لدينانا^(٦)"^(٧)، وروى الإمام أبو يوسف يعقوب [بن]^(٨) شيبه بن الصلت رحمه

(١) في (ب): الحميدي.

(٢) صحيح البخاري ح (٣٦٩٧) (١٤/٥).

(٣) سورة الحجرات: ٦.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/١٣٧٩، تاريخ الطبري (٣/٢٢٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ح (٦٦٤) (١/١٣٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (١٠١) (١/١٣١)، وضعفه الحافظ ابن حجر في كتابه: التلخيص التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (٤/١٢٨)، دار الكتب العلمية، وقال: "رواه أبو الخير الطالقاني في السنة، من طريق شابة بن سوار، عن شعيب بن ميمون، عن محمد بن بكر، عن حدثه عن أبي بكر، وهو منكر متناً، ضعيف منقطع سنداً".

(٧) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/٢٦٦).

(٨) زيادة من (ب).

رحمه الله تعالى^(١) في مصنفه الذي^(٢) ضمنه أخبار السيد الصديق^(٣) أن السيد علياً عليه السلام قال: "أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر على صلاة المؤمنين، فصلى بهم ثمانية أيام، في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله واختار له ما عنده، ولاه المؤمنون ذلك، وفوضوا إليه الزكاة، لأنهما مقرونتان، وأعطوه البيعة طائعين غير مكرهين^(٤)".

"الوجه العاشر: لو كانت الإمامة حقاً لعل عليه السلام، غصبها أبو بكر رضي الله عنه، ورضيت الجماعة بذلك، وقاموا بنصرته دون علي رضي الله عنه، لما كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، واللازم باطل، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني: وهذه الوجوه وإن / كانت [أ/١٨٠]

(١) يعقوب بن شيبه بن الصلت بن عصفور أبو يوسف السدوسي، الحافظ الكبير، العلامة الثقة، من مصنفاته: مسند عمر بن الخطاب، توفي سنة اثنتين وستين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد للبغداد (٢٨٣/١٤)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١١٨/٢).

(٢) في (ب): التي.

(٣) الكتاب غير مطبوع.

(٤) أخرجه الإمام أبو بكر محمد الأجرى في الشريعة ح (١١٩٦) (٤/١٧٢٥)، تحقيق: عبدالله الدميحي، دار الوطن بالرياض، والإمام أبو القاسم بن الحسن بن منصور اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ح (٢٤٥٦) (٧/١٣٧٣٩)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، وصححه سنده شيخ الإسلام ابن تيمية في فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١٣/١٢٤٢)، تحقيق: عبدالعزيز الفريح، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، والإمام علي بن حسام الدين البرهانفوري الشهير بالمتقي الهندي في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال بنحوه ح (٣٦١٤٥) (٣١/٢٢)، تحقيق: بكري حياني و صفوة السقا، مؤسسة الرسالة.

ظنيات، فنصب الإمام من العمليات، فيكفي فيه الظن، على أنها باجتماعها
ربما تفيد القطع لبعض المنصفين، ولو سلم فلا أقل من صلوحها ((سنداً))^(١)
((للإجماع))^(٢) وتأيداً^(٣). وإذا نظر الشيعي ((بعين))^(٤) الإنصاف، وخلع
رداء الشقاء، لم يجد هذه الأخبار الشريفة أقل رتبة من خبر المولى^(٥)، وخبر
المنزلة^(٦)، والله يهدي من يشاء بفضله.

"الوجه الحادي عشر: لو كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه باطلة، لما كان
هو ممدوحاً معظماً عند الله تعالى، وقد كان كذلك، فوجب القول بصحة
إمامته، أما الملازمة فظاهرة، والخصم يوافق عليها، وإنما قلنا أنه ممدوح
معظم عند الله تعالى من وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ﴾^(٧) وهو كان ممن بايع تحت الشجرة^(٨).

(١) في (أ) و(ب): مبتدأ، والمثبت هو الصحيح كما في شرح المقاصد.

(٢) في (أ): الإجماع.

(٣) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٢٦٧).

(٤) في (أ): بغير.

(٥) المقصود: قول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

(٦) المقصود: قوله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

(٧) سورة الفتح: ١٨.

(٨) أخرجه مسلم ح (١٧٨٥) (٣/ ١٤١١).

وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١)، ولا شك أنه من
السابقين الأولين، فإننا وإن اختلفنا في أنه هل كان إيمانه قبل إيمان الكل، إلا
أن لفظ السابقين يفيد كل من سبق في الدين^(٢)، ولولا أن المراد ذلك، وإلا لما
دخلت فيه الأنصار، وإذا ثبت أنه من السابقين؛ وجب أن يدخل تحت قوله
تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٣).

الوجه الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾^(١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ
يَتَزَكَّى^(١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى^(١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى^(٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى^(٢١)
اتفق أكثر المفسرين أن المراد من هذه الآية: هو الصديق عليه السلام^(٢٢)، وقد أقمنا
الدلالة على ذلك فيما سبق موضحة مبينة غاية التوضيح والبيان.

الوجه الثالث عشر: الخبر المشهور وهو قوله عليه السلام: «ما طلعت شمس

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

(٢) معلوم أن أول من آمن بالنبي عليه السلام من الرجال هو: أبو بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: منهاج السنة لابن
لابن تيمية (٨/ ٣٨٩)، البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٦).

(٣) سورة التوبة: ١٠٠.

(٤) سورة الليل: ١٧-٢١.

(٥) انظر: جامع البيان للطبري (٢٤/ ٤٧٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢).

ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وعمر»^(١)، وإذا ثبت أنه أفضل؛ وجب أن يكون هو الإمام، والخصم يوافق في هذه المقدمة.

الوجه الرابع عشر: قوله ﷺ لأبي بكر وعمر: «هما سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين» رواه الترمذي ورواه ابن ماجه عن علي بن أبي طالب عنه^{(٢)(٣)}، وقال ﷺ: «إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر»^(٤)، وفي البخاري: «أبا بكر»^(٥)، [و]^(٦) قال السيد الجرجاني قدس [الله]^(٧) سره: من أمن الناس أي: أبذلهم وأسمحهم من من عليه مناً، لا من من عليه منة^(٨)، إذ ليس لأحد أن يمن على رسول الله ﷺ منة، وقيل: كلمة

(١) أخرجه بنحوه الإمام أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ح(١٣٥)(١/١٥٢)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة بيروت، وقد حسنه بعضهم ولكن الطرق المشار إليها بحاجة إلى دراسة دقيقة، وهذا مما لم يتيسر لي بعد والله الموفق.

(٢) سنن ابن ماجه ح(٩٥)(١/٣٦)، وسنن الترمذي ح(٣٦٤)(٥/٦١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ح(٥١)(١/٧١).

(٣) انظر: الأربعين في أصول الدين للرازي (٢/٢٨٧).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ح(٢٣٨٢)(٤/١٨٥٤).

(٥) صحيح البخاري ح(٣٦٥٤)(٥/٤).

(٦) ساقطة من (ب).

(٧) زيادة من (ب).

(٨) لم أجد أين قاله.

من: زائدة، وقيل: اسم إن: ضمير ((الشأن))^(١)، وقيل: إن بمعنى: نعم^(٢).

[١/١٨١] الوجه الخامس عشر: روى البخاري ومسلم: "أن / امرأة أتت النبي ﷺ فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تريد الموت قال: «فإن لم تجدني فأت أبا بكر»^(٣) قال السيد الشريف: هو إخبار عن الغيب، أقول: وذلك من معجزاته ﷺ [قال السيد وذلك]^(٤): نصاً على خلافته، إذ لا نص صريحاً في حق أحد^(٥).

الوجه السادس عشر: قد علم حقاً أن طريق حصول الإمامة إما: النص، وإما: الاختيار، وقد بطل القول بالنص كما سبق القول في ذلك على سبيل الجزم؛ لقوة الدلائل المتقدمة، فبقي القول بالاختيار^(٦)، وكل من قال

(١) في (أ): الشارة.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/٧).

(٣) صحيح البخاري ح (٣٦٥٩) (٥/٥)، وصحيح مسلم ح (٢٣٨٦) (٤/١٨٥٦).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) لم أجد أين قاله.

(٦) ثبوت الخلافة لأبي بكر الصديق عليه السلام اختلف فيها العلماء على قولين:

القول الأول: أنها ثبتت بالاختيار، وهو قول جمهور العلماء والفقهاء وأهل الحديث، والمتكلمين: كالمعتزلة والأشعرية وغيرهم. وهو الراجح لثلاثة أمور: للخبر والأمر والإرشاد. وقد أورد المصنف عليه السلام الآيات والأحاديث الدالة على ثبوتها بالاختيار.

القول الثاني: أنها ثبتت بالنص الخفي، وهو قول طوائف أهل الحديث والمتكلمين ويروى عن الحسن البصري. وبعض أهل هذا القول يقولون بالنص الجلي. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/٨٧)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٨/٣٥)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/٦٩٨).

طريق ((الإمامة))^(١) هو الاختيار، قال: الإمام بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر، فوجب القطع بصحة إمامته عليه السلام وعن سائر الصحابة والقراءة.
وهذه أحاديث أخرى شريفة، خرجها الحفاظ الثقات الأعلام:

منها: ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، فقال: «أثبت أحد؛ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٢)، وفي شرح المقاصد أورد أحاديث شريفة أيضاً، منها: قوله عليه السلام: «خير أمتي أبو بكر ثم عمر»^(٣)، وقوله عليه السلام: «ما ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يتقدم عليه غيره»^(٤)، وروى مسلم في صحيحه قوله عليه السلام: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي»^(٥)، وفي رواية: «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر

(١) في (أ): الإمامية.

(٢) صحيح البخاري ح (٣٦٧٥) (٩/٥).

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخه ح (٧٩٦٧) (٦٢/٤٢٧)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح (٣٥٧٣) (٨/٦٤٩).

(٤) أخرجه بنحوه الترمذي ح (٣٦٧٣) (٥/٦١٤)، والحديث موضوع. انظر: ذخيرة الحفاظ ح (٦٣٩١) (٥/٢٧٣٨)، الموضوعات لابن الجوزي (١/٣١٨).

(٥) أخرجه البخاري بغير قوله: «غير ربي» ح (٣٦٥٦) (٤/٤).

خليلاً» رواه البخاري ومسلم^(١).

وبعد ما أورد الشيخ سعد الدين قوله ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه حين كان يمشي أمام أبي بكر رضي الله عنه: "أتمشي أمام من هو خير منك، والله ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبي بكر"^(٢)، قال رحمته: "ومثل هذا الكلام وإن كان ظاهره نفى أفضلية^(٣) الغير، لكن إنما ينساق لإثبات أفضلية المذكور، والسرف في ذلك: أن الغالب من حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوي، وإذا نفى أفضلية أحدهما؛ ثبتت أفضلية الآخر، وبمثل هذا ينحل الإشكال المشهور على قوله ﷺ: «من قال حين يصبح وحين يمسي، سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»^(٤)، لأنه في معنى أن من قال ذلك: فقد أتى بأفضل مما جاء كل أحد، إلا أحداً قال مثل ما قاله^(٥)، أو زاد عليه، فالاستثناء بظاهره^(٦) من النفي، وبالتحقيق من الإثبات^(٧)."

(١) صحيح البخاري ح (٣٦٥٤) (٥/٤)، ومسلم بنحوه ح (٥٣٢) (١/٣٧٧).

(٢) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/٢٩٢).

(٣) في (ب): فضيلة.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ح (٢٦٩٢) (٤/٢٠٧١).

(٥) في (ب): قال.

(٦) في (ب): ظاهره.

(٧) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/٢٩٣).

فصل: قال الشيخ سعد الدين التفتازاني قدس الله روحه، في حق من

ادعى من الشيعة / النص على إمامة علي عليه السلام ما نصه: "ومن ادعى النص [١٨٢/أ]
الجلي، فقد طعن في كبار المهاجرين والأنصار عامة بمخالفة الحق وكتمانه،
وفي حق علي عليه السلام خاصة باتباعه الباطل وإذعانه، بل في النبي صلى الله عليه وآله حيث
اتخذ القوم أحباباً وأصحاباً وأعواناً وأنصاراً وأختاناً وأصهاراً مع علمه
بحالهم في^(١) ابتدائهم ومآلهم، بل في كتاب الله تعالى حيث أثنى عليهم
وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، ووصفهم بالأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر.

ومن مكابرات الروافض: ادعائهم تواتر^(٢) هذا النص قرناً بعد قرن،
مع أنه لم يشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ولم يثبت عمن يوثق به من
المحدثين، مع شدة ميلهم إلى أمير المؤمنين، ونقلهم الأحاديث الكثيرة في
مناقبه وكمالاته في أمر الدنيا والدين، ولم ينقل عنه في خطبه ورسائله
ومفاخره إشارة إلى ذلك، وابن جرير مع اتهامه بالتشيع لم يذكر روايته في
قصة الدار^(٣)، هذه الزيادة التي تدعيها الشيعة، وهي قوله صلى الله عليه وآله: «أنه^(٤) الخليفة

(١) في (ب): من.

(٢) في (ب): توتر.

(٣) قصة الدار: هي يوم قتل عثمان رضي الله عنه.

(٤) في (ب): أن.

الخليفة فيكم من بعدي»^(١)، ونعم ما قاله المأمون^(٢): "وجدت أربعة في أربعة: الزهد في المعتزلة، والكذب في الروافض^(٣)، والمروءة في أصحاب الحديث، وحب الرئاسة في أصحاب الرأي"^(٤)، والظاهر ما ذكره المتكلمون من أن هذا المذهب، أعني دعوى النص الجلي، مما وضعه هشام بن الحكم^(٥)، ونصره ابن الراوندي^(٦)، وأبو عيسى الوراق^(٧)، وأضرابهم، ثم رواه أسلاف الروافض شغفاً بتقرير مذهبهم، قال الإمام الرازي: "ومن العجائب أن الكاملين من

(١) الحديث موضوع. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ح (٤٩٣٢) (١٠ / ٦١٢).

(٢) الخليفة أبو العباس عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد ابن أبي جعفر المنصور العباسي، قرأ العلم والأدب، والأخبار، والعقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالع في ذلك، ودعا إلى القول بخلق القرآن، وامتحان العلماء وبالع في أذاهم، توفي سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٣ / ٢٧٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٢٧٤).

(٣) في (ب): الرافضة.

(٤) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥ / ٢٦١).

(٥) هشام بن الحكم الكوفي الرافضي، رئيس الطائفة الهشامية، وكان خزازاً، ضالاً، مشبهاً، والعياذ بالله، توفي في حدود الثلاثين والمائتين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠ / ٥٤٣)، الوافي بالوفيات للصفدي (٢٦ / ٥٧).

(٦) أحمد بن يحيى بن اسحاق الرواندي، الملحد، وأحد مشاهير الزنادقة، صاحب التصانيف في الخط الخط على الملة، وكان يلزم الرافضة والملاحدة، وكان أبوه يهودياً فأظهر الاسلام، توفي سنة ثمان وتسعين ومائتين. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٩٤)، سير أعلام النبلاء (١٤ / ٦١).

(٧) محمد بن هارون الوراق أبو عيسى، من أهل بغداد، من متكلمي الرافضة، وله مصنفات في مذهب مذهب المعتزلة، توفي سنة سبع وأربعين ومائتين ببغداد. انظر: لسان الميزان لابن حجر (٥ / ٤١٢).

علماء الشيعة في كل عصر لم يبلغوا ((حداً))^(١) لكثرة، فضلاً عن التواتر، وأن عوامهم وأوساطهم لا يقدرّون أن يفهموا كيفية هذه الدعوى على الوجه المحقق، وأن غلاتهم زعموا أن المسلمين ارتدوا بعد النبي ﷺ، ولم يبق على الإسلام إلا عدد يسير أقل من العشرة، فكيف يدعون التواتر ((في)) ذلك^(٢) "بناء منهم على شهرته فيما بينهم، وكثرة دورانه على ألسنتهم، وجريانه في أيديهم، وموافقته لطباعهم، ومقارعته لأسماعهم، ولا يتأملون كيف خفي عن^(٣) الكبار من الأنصار والمهاجرين، والثقات من الرواة والمحدثين، وأن ذلك لم يظهر إلا بعد انقضاء دور الإمامة، وطول العهد بأمر الرسالة، وظهور التعصبات الباردة، والتعسفات الفاسدة، وإفضاء أمر الدين إلى علماء السوء، والملوك إلى أمراء الجور أولى الأهواء.

ثم قال الشيخ سعد الدين: ومن العجائب أن بعض المتأخرين من المتشيعين الذين لم يروا / أحداً من المحدثين، ولا روى حديثاً في أمر الدين، [١/١٨٣] ملؤوا كتبهم من أمثال هذه الأخبار، والمطاعن في الصحابة الأخيار، وإن شئت فانظر في كتاب التجريد، المنسوب إلى الحكيم نصير الدين

(١) في (أ): أحداً.

(٢) في (أ): من.

(٣) انظر: شرح المقاصد للفتازاني (٥ / ٢٦١).

(٤) في (ب): على.

الطوسي^(١)، كيف نصر المباطيل^(٢)، وقرر الأكاذيب^(٣)، فالله تعالى يقابله بها يستحق^(٤).

فصل: وقد وردت روايات وأمارات ربما تفيد باجتماعها القطع بعدم النص، و[هي]^(٥) كثيرة جداً: كقول العباس لعلي عليه السلام: "امدد يدك أبايعك، فتقول الناس هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عمه، فلا يختلف عليك اثنان"^(٦)، وكقول عمر لأبي عبيدة عليه السلام: "امدد يدك لأبايعك"^(٧)، وقول أبي بكر رضي الله عنه: "بايعوا عمر أو أبا عبيدة"^(٨)، وقوله^(٩): "وددت أن سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر فيمن هو، وكنا لا ننازعه"^(١٠)، وكدخل علي عليه السلام

(١) واسم الكتاب: تجريد العقائد لمحمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي، أبو جعفر، شيخ الإمامية، وفقه الشيعة، الفيلسوف، وكان رأساً في علم الأوائل، وكان له منزلة عالية عند هؤلاء، توفي سنة اثنتين وسبعين وست مائة ببغداد. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (١/ ١٤٧)، لسان الميزان لابن حجر (٥/ ١٣٥)، أعيان الشيعة لمحسن الأمين (١/ ١٤٥).

(٢) في (ب): الأباطيل.

(٣) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٢٦٧).

(٤) في (ب): يستحقه.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) لم أعثر عليه.

(٧) لم أعثر عليه.

(٨) أخرجه البخاري ح (٣٦٦٧) (٥/ ٦).

(٩) في (ب): وقول علي.

(١٠) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٤٣١).

في الشورى^(١)، فإنه عليه السلام ((رضي))^(٢) بإمامة أيهم كان، وكقوله لطلحة عليه السلام: "إن أردت بايعتك"^(٣)، وكاحتجاجه على معاوية عليه السلام ببيعة الناس له، لا بنص من النبي صلى الله عليه وسلم^(٤)، وكقوله حين دعي إلى البيعة: "دعوني والتمسوا غيري"^(٥)، وكمعاضدته أبا بكر وعمر عليهما السلام، والإشارة عليهما بما هو أصلح حين خرج أبو بكر عليه السلام لقتال العرب^(٦)، وعمر عليه السلام لقتال فارس والروم^(٧)، وكمخاطبته هو وغيره من الصحابة في تسميتهم لأبي بكر عليه السلام مدة حياته بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم^{(٨)(٩)}، وكعدم تعرضه لذلك النص في شيء من خطبه ورسائله ومفاخرته^(١٠) ومخاصماته وتأخره عن البيعة، وكأنكار زيد بن زين العابدين مع علو مرتبته هذا النص^(١١)، من سادات أهل البيت، ولم يكن لأحد من عظماء العترة النبوية، وأولاد أمير

(١) انظر: صحيح البخاري ح (١٣٩٢) (٢/ ١٠٣).

(٢) في (أ): ورضي.

(٣) أخرجه الطبري في تاريخه (٤/ ٤٣٤).

(٤) انظر: المصدر نفسه (٤/ ٥٦١).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٤/ ٤٣٤).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٣/ ٢٢٥).

(٧) انظر: المصدر نفسه (٤/ ١٢٣).

(٨) انظر: المصدر نفسه (٣/ ٣٠٠).

(٩) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٢٦٢).

(١٠) في (ب): مفاخراته.

(١١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣٣٠).

المؤمنين بالدراية المعصومين في الرواية حقد ولا تعصب على الصحابة الكرام، ولم يذكروا منهم [أحداً]^(١) خصوصاً الشيخين أبا بكر وعمر رحمهما الله إلا الكمالات^(٢)، ولم يسلكوا مع رؤساء المذهب السني^(٣) من علماء الإسلام إلا إلا الإجلال والإعظام، وهذا الإمام علي بن موسى الرضا مع جلالة قدره، وكمال علمه ودينه، وهدهد وورعه وتقواه، قد كتب على ظهر عهد المأمون له ما ينبئ عن وفور حمده للمأمون، وقبول عهد^(٤) منه، والتزام ما شرط عليه، ودعائه له بالرضوان، فقال مخاطباً له في الكتاب المذكور: رضي الله عنك وأرضاك، وفي موضع آخر: جعلت فداك، وغير ذلك من الكلمات المتضمنة للدعاء له وشكره^(٥)، وهذا العهد بخطهما أي: خط المأمون وعلي الرضا موجوداً الآن في المشهد الرضوي بخراسان.

تتمة: ثم إنه لا شك ولا خفاء أن مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أظهر من أن ((تخفى))^(٦)، وأكثر من أن تحصي، ولا كلام في عموم كراماته، ووفور فضائله، وورود الأحاديث الشريفة النبوية

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): بالكمالات.

(٣) في (أ) و(ب): السني السني.

(٤) في (ب): عهده.

(٥) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لجمال الدين أبي الفرج الجوزي (٩٨/١٠)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦) في (أ) و(ب): يخفى.

[١٨٤/أ] / متضمنة شرائف الثناء عليه، وكمالاته شهيرة، وإمداحه غزيرة، إلا أن ذلك كما قال الشيخ سعد الدين: لا يدل على الأفضلية بمعنى: زيادة الثواب والكرامة عند الله تعالى^(١) بعد ما ثبت في^(٢) الاتفاق الجاري مجرى الإجماع على أفضلية أبي بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه، والاعتراف من علي رضي الله عنه بذلك^(٣)، على أن فيما ورد مما تعتمد^(٤) الشيعة مواضع لا تخفى على المحصل، وقد استوفينا الكلام على غالبها فيما سلف من هذه الرسالة بأقوم بيان وأوضح برهان، ثم ولا خفاء أيضاً عن كل مسلم تقي نقي الصدر من الغل، أنه يجب تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاهره سوء الظن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرون والأنصار، أهل بيعة الرضوان، ومن شهد بدر، وأحد^(٥)، والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وتشهد بذلك الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعظيمهم، وكف اللسان عنهم^(٦) والطعن

(١) شرح المقاصد للفتازاني (٥/ ٢٩٥).

(٢) في (ب): من.

(٣) انظر: صحيح البخاري ح (٣٦٧١) (٥/ ٧).

(٤) في (ب): تعتمد.

(٥) في (ب): أحداً وبدراً.

(٦) في (ب): عن الطعن.

فيهم، حيث قال ﷺ: «أكرموا اصحابي فإنهم خياركم»^(١)، وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٢)، وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم [فببغضي] أبغضهم»^(٣) «أبغضهم»^(٤).

أبغضهم»^(٤).

اللهم أعذنا من بغضهم وسبهم، وأمتنا على اعتقادهم وحبهم، ولا تجعل لأحد منهم في أعناقنا^(٥) ظلامه، واجعلهم شفعاءنا إليك يوم القيامة.

-
- (١) أخرجه النسائي ح (٩١٨٠) (٨/٢٨٦)، والإمام محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ح (٦٠١٢) (٣/١٦٩٥)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح ح (٦٠١٢) (٣/١٦٩٥).
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه ح (٣٦٧٣) (٨/٥).
- (٣) ساقطة من (ب).
- (٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ح (٢٠٥٤٨) (٣٤/١٦٩)، والترمذي في سننه ح (٣٨٦٢) (٥/٦٩٦)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ح (٢٩٠١) (٦/٤٤٣).
- (٥) في (ب): عنقنا.

خاتمة: تتضمن بيان كيفية عقد الخلافة لأبي بكر الصديق وما جرى في^(١) ذلك على الوجه الصحيح، المسند بروايات محررة مؤيد^(٢) بعضها بعضاً، وذكر الرسالة الصادرة عن الشيخين رحمهما الله إلى علي رحمهما الله.

فأما رواية كيفية عقد الخلافة، وما جرى بسبب ذلك أوردتها الإمام العلامة أبو يوسف يعقوب بن شعبة بن الصلت، وهو من العلماء المشهورين في القرن الثالث من رواية ابن شهاب، بعدما ذكر متوفى النبي ﷺ، واجتماعهم لذلك، قال: فيناهم يحفرون أقبل رجل فقرع الباب، ونادى عمر بن الخطاب رحمهما الله فقال عمر رحمهما الله: أنا مشاغل فما حاجتك؟ قال الرجل: إنه لا بد لك من القيام، وسترجع إن شاء الله فتعال أكلمك، فقام إليه عمر رحمهما الله فقال: إن هذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، ومعهم سعد بن عباد، وناس من أشرافهم، يقولون منا أمير، ومن المهاجرين أمير، وقد خشيت أن تهيج فتنة، فانظريا عمر ماذا ترى، واذكر ذلك لإخوانك، واحتالوا حيلتكم، فإني كأني انظر إلى باب فتنة إن لم يغلقه الله تعالى، ففرع عمر رحمهما الله أشد الفرع وراعه ذلك، ثم خرج أبو بكر [وعمر]^(٣) رحمهما الله سريعين إلى بني ساعدة وتركوا نفرًا / من المهاجرين فيهم [١/١٨٥]

علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس رحمهما الله وهم أقاربه، وهم ولوا شأنه

(١) في (ب): من.

(٢) في (ب): يؤيد.

(٣) ساقطة من (ب).

وغسله وتكفينه، فلقيا أبا عبدة عليه السلام فانطلقوا جميعاً حتى دخلوا سقيفة بني ساعدة، وفيها رجال من أشراف الأنصار، وسعد بن عبادة عليه السلام مضطجع بين أظهرهم^(١) يوعك، فأراد عمر عليه السلام أن يتكلم ويهدد من هنالك^(٢) من الأنصار، وتفوه ليتشهد، زجره أبو بكر عليه السلام وقال: على رسلك فستكفى [الكلام]^(٣)، ثم تقول بعد ما بدا لك إذا قضيت حاجتي، فتشهد أبو بكر عليه السلام فأنصت القوم فقال: بعث الله نبيه بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعانا إليه، فكنا^(٤) معاشر المهاجرين أول الناس إسلاماً، ونحن عشيرته، وأقاربه، وذوو رحمه، ونحن أهل النبوة، وأهل الخلافة، وأوسط الناس أنساباً، ولدتنا العرب كلها، فليس منهم قبيلة إلا لقرشي فيها ولادة، ولم تعرف العرب ولم^(٥) تصلح إلا على رجل من قريش، هم أصبح الناس وجوهاً، وأسلطهم ألسنةً، وأفضل الناس قولاً، فالناس لقريش تبع، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم قسم الأنملة^(٦)، أو قال: الأيلمة، وأنتم يا معاشر الأنصار إخواننا في كتاب الله تعالى، وشركاؤنا في الدين، وأحب الناس إلينا، وأنتم الذين ءاؤوا

(١) في (ب): ظهرهم.

(٢) في (ب): هناك.

(٣) ساقطة من (ب).

(٤) في (ب): وكنا.

(٥) في (ب): لن.

(٦) الأنملة هي: واحدة الأنامل، وهي رءوس الأصابع. انظر: الصحاح للجوهري (٥/١٨٣٦).

ونصروا، وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله عز وجل، والتسليم بفضيلة ما أعطاه الله تعالى إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس لا تحسدوهم على خيراً آتاهم الله إياه، وإني أدعوكم إلى أحد رجلين أما: عمر بن الخطاب، وأما: أبو عبيدة [بن الجراح]^(١)، [فكلاهما قد رضيته بقيام هذا الأمر، ورأيته لذلك أهلاً، فقال عمر وأبو عبيدة بن الجراح]^(٢): ما ينبغي لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يكون فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، وثاني اثنين، وأمرك رسول الله ﷺ حين اشتكى بالصلاة للناس، فصليت بهم، فأنت أحق الناس بهذا الأمر، فقالت الأنصار: والله ما نحسدكم عن^(٣) خير ساقه الله إليكم، ما من خلق الله أحد أحب إلينا، ولا أعز علينا، ولا أرضى عندنا هدنا منكم، ونحن نشفق مما بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم، فإذا هلك اخترنا رجلاً من الأنصار فجعلناه، فإذا هلك اخترنا رجلاً من المهاجرين فجعلناه، فكنا كذلك أبداً ما بقيت هذه الأمة، بايعناكم ورضينا بذلك من أمركم، وكان ذلك أجدر أن يشفق القرشي إن زاغ أن ينقض عليه الأنصاري، وأن يشفق الأنصاري إن زاغ أن ينقض عليه القرشي زيغة، فقال عمر رضي الله عنه: لا ينبغي هذا الأمر ولا يصلح إلا لرجل من قريش، ولن ترضى العرب إلا به، ولن تعترف بالإمارة إلا له، ولن

(١) زيادة من (ب).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) في (ب): على.

تصلح إلا عليه، والله لا يخالفنا أحد إلا قتلناه، فقام خباب بن المنذر السلمي فقال: منا أمير ومنكم أمير، أنا جذيلها / المحكك^(١)، وأنا عذيقها المرجب^(٢)، [أ/١٨٦] وقد دفت علينا منكم دافة، أرادوا أن يخرجونا من أصلنا ويحصنونا من الأمر^(٣)، وإن شئتم أدرناها جذعة^(٤)، قال: فكثر القول حتى كاد يكون بينهم في السقيفة حرب، وتواعد بعضهم بعضاً، ثم تراد المسلمون، وعصم الله لهم دينهم، فرضوا بقول حسن، وسلموا الأمر إليه، وعصوا الشيطان، ووثب عمر رضي الله عنه فأخذ بيد أبي بكر، وقام أسيد بن الحضير أخو بني عبد الأشهل، وبشير بن سعد وهو أبو النعمان بن بشير، يستبقون لبياعوا، فسبقهما عمر رضي الله عنه، وبايعاه معاً، ووثب أهل السقيفة يتدرون البيعة، وسعد بن عبادة رضي الله عنه مضطجع يوعك، فازدحم الناس على بيعة أبي بكر رضي الله عنه فقال رجل من الأنصار: اتقوا سعد بن عبادة ((لا تطؤوه))^(٥)، فقال عمر رضي الله عنه:

(١) الجذيل المحكك هو: عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به من الجرب، فأراد أنه يستشفى برأيه كما تستشفى الجربى بالاحتكاك بذلك العود. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣/٢٤٩).

(٢) العذيق تصغير: عذق، والعذق هو: النخلة بحملها، والترجيب هو: أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها، لئلا تنكسر أغصانها، فأراد أن له عشيرة تمنعه وترفده. انظر: الكنز اللغوي في اللسن العربي لابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (١١)، تحقيق: أوغست هفner، مكتبة المتنبى بالقاهرة، الصحاح للجوهري (١/١٣٤) (٤/١٥٢٢).

(٣) في (ب): الأمير.

(٤) إذا طفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي أول ما يتبدأ فيها. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١/٢٢٧).

(٥) في (أ) و(ب): لا تطؤوه.

اقتلوه قتله الله فإنه صاحب فتنة، وقال عمر رضي الله عنه ذلك بغضب، فلما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من البيعة رجع إلى المسجد، فقعده على المنبر، فبايعه الناس حتى أمسى، وشغلوا عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان آخر الليل من ليلة الأربعاء مع الصبح، وجعل الناس يصلون عليه، كل عصابة دخلت فلم يقم عليه إمام، ولم يصف وراءه، إنما كان صلاتهم أن يدخل عليه العصابة فيصلون ويسلمون ثم ينصرفون، وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر رضي الله عنه، منهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما فدخلا بيت فاطمة رضي الله عنها ومعهما السلاح، ((ومعهما))^(١) جماعة، وأقاما إماماً، ويقال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءهما بعد ذلك في عصابة من المسلمين، فأخذ أحدهم سيف الزبير رضي الله عنه فضرب الحجر حتى كسره، ثم قام أبو بكر رضي الله عنه وخطب^(٢) الناس واعتذر إليهم، وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا كنت فيها راغباً، ولا سألتها الله^(٣) في سر ولا علانية، ولكنني اشفقت من الفتنة، ومالي في الإمارة من راحة، ولقد قلدت أمراً عظيماً مالي به من طاقة ولا يدان إلا بتقوية الله تعالى، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم، فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، ولما سمع ذلك علي والزبير رضي الله عنهما قالوا: ما غضبنا إلا لأن أخرنا عن المشورة، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها بعد

(١) في (أ): ومعهما.

(٢) في (ب): فخطب.

(٣) في (ب): والله.

رسول الله ﷺ وأثني عليه خير الثناء^(١)، وقد تقدم ما أشار إليه الشيخ سعد الدين التفتازاني في^(٢) شرح المقاصد: أن أبا بكر رضي الله عنه أرسل إلى علي رضي الله عنه يسترضيه، وأدخل في ذلك نوعاً من العتاب، وشاركه عمر في الرسالة المذكورة، وبلغها أبو عبيدة أحسن بلاغ، وعاد منه بالجواب^(٣)، وقد رويتها بالسند عن شيخ الشيوخ موفق الدين بن أبي ذر الحلبي^(٤) سبط حافظ عصره برهان^(٥) الدين بن العجمي^(٦) المتصل إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وهي مطولة، وكتبتها بخطي على وجه التمام في عدة مواضع، وها أنا موردٌ في

(١) لم أجدها في مسند يعقوب بن شيبه.

(٢) أخرجهما بنحوها أحمد ح (٣٩١) (١/ ٤٤٩)، والبخاري ح (٦٨٣٠) (٨/ ١٦٨)، وابن جرير الطبري (٣/ ٢٠٦).

(٣) في (ب): من.

(٤) في (ب): الجواب.

(٥) شرح المقاصد للتفتازاني (٥/ ٢٦٤).

(٦) أبو ذر موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الأصل، الحلبي، الشافعي، الإمام البار، الأديب، محدث حلب، أخذ الفن عن والده، من تصانيفه: كنوز الذهب في تاريخ حلب، ومبهمات مسلم، توفي سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحلب. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (١/ ١٩٨)، نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي (٣٠).

(٧) في (ب): شهاب الدين.

(٨) إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي، الحلبي، الشافعي، المعروف: بسبط ابن العجمي، حافظ حافظ حلب في زمانه، من مصنفاته: التبيين لأسماء المدلسين، التنقيح لفهم قارئ الصحيح، نقد نقصان في معيار الميزان، توفي سنة إحدى وأربعين وثمانمائة بحلب. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (١/ ٣٥)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (١/ ١٣٨).

[١٨٧/أ] / هذه الرسالة عيونها، وزبدها، من غير أن أخل بشيء من مقاصدها، أو أدخل فيها الحرف الواحد لانتظام القول، كلا، وبالله تعالى اعتصم مما يصم، وهذا ملخص الرسالة^(١) [وفي رواية: فهجرت فاطمة عليها السلام فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها علي عليه السلام ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر عليه السلام، قال: وكان لعلي عليه السلام وجه من الناس حياة فاطمة عليها السلام، فلما توفيت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عن علي عليه السلام، ومكثت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر ثم توفيت، فقال رجل للزهري: فلم يبايعه علي عليه السلام ستة أشهر؟ قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي عليه السلام^(٢)، وفي رواية: فلما رأى علي عليه السلام انصراف وجوه الناس عنه، ضرع إلى مصالحة أبي بكر عليه السلام، فأرسل إلى أبي بكر عليه السلام آتياً ولا يأتنا معك أحد، وكره عمر عليه السلام فقال عمر عليه السلام: لا تأتهم وحدك، فقال أبو بكر عليه السلام: والله لا آتينهم وحدي، وما عسى أن يصنعوا بي، فانطلق أبو بكر عليه السلام، فدخل على علي عليه السلام، وقد جمع بني هاشم عنده، فقام علي عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فلم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك، ولم ننفس عليك لخير ساقه ابتداءً إليك،

(١) في (ب): وهي هذه قال.

(٢) من قوله: "فقال رجل للزهري، إلى قوله: حتى بايعه علي عليه السلام". زيادة: أخرجها البيهقي في السنن الكبرى ح (١٢٧٣٢) (٦/٤٨٩). ثم ضعفها.
ومعلوم أن علياً عليه السلام بايع أبا بكر عليه السلام في أول الأمر. ثم بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى. انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/٤٩٥).

ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً، فاستبددتم علينا، ثم ذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم، فلم يزل علي عليه السلام يذكر حتى بكى أبو بكر عليه السلام، وصمت علي عليه السلام، فتشهد أبو بكر عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فوالله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وإني والله ما ألوت في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم عن الخير، ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال»، وإني والله لا أدع أمراً صنعه رسول الله ﷺ إلا صنعته إن شاء الله، وقال علي عليه السلام: موعذك للبيعة العشية، فلما صلى أبو بكر عليه السلام الظهر أقبل على الناس يعذر علياً عليه السلام ببعض ما اعتذر به، ثم قال علي عليه السلام: فعظم من حق أبي بكر عليه السلام وذكر فضيلته وسابقته، ثم قام إلى أبي بكر عليه السلام فبايعه، فأقبل الناس على علي عليه السلام فقالوا: أصبت وأحسن، وكان المسلمون إلى علي عليه السلام حين راجع الأمر المعروف.^(١) في أفراد مسلم في حرف الألف من مطلع النيرين لجمع الصحيحين^(٢) للإمام الحافظ عز الدين عبدالعزيز بن رضوان بن عبدالحق بن الحنبلي^(٣) [٤] قال أمين الأمانة أبو عبيدة بن الجراح: لما بلغ أبا بكر الصديق عن علي عليه السلام أجمعين

(١) أخرجه بنحوه مسلم ح (١٧٥٩) (٣/ ١٣٨٠).

(٢) الكتاب لم يطبع بعد.

(٣) لم أعثر عليه.

(٤) زيادة من (ب).

تلكؤ وشماس^(١)، وتهمهم ونفاس^(٢)، وكره أن يتمادى [ذلك]^(٣) الحال، وتبدو
العداوة، وتنفرج ذات البين، [ويصير ذلك دريئة لجاهل مغرور، أو عاقل
ذي وهن، أو صاحب سلامة، ضعيف القلب، حوار العنان^(٤)] دعاني إلى
حضرته في خلوة، وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أبا عبيدة: ما أيمن
ناصيتك^(٥)، وأبين الخير بين عارضيك^(٦)، ولم تزل للدين صباحاً، وللمؤمنين
وللمؤمنين روحاً، ولقد أردت لك لأمر خطره مخوف، وإن لم يندمل جرحه
(بيسارك)^(٧) ورفقك، وقع اليأس، وأعضل البأس، فتأن وترفق، امض إلى
علي، واخفض جناحك، واغضض صوتك عنه، وقل له البحر مغرق، والبر
مفرق، والحق عطوف، والباطل عنوف^(٨)، والضغن رائد البوار، والتعريض

(١) الشماس: إبداء العداوة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١١/ ٢٠٦)، الصحاح
للجوهري (٣/ ٩٤٠).

(٢) النفاس: المنافسة. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (٥٧٨).
(٣) زيادة من (ب).

(٤) الحوار: الضعيف الذي لا بقاء له على الشدة.
والعنان: سير اللجام الذي تُمسك به الدابة. انظر: تهذيب اللغة (٧/ ٢٢٥)، القاموس
المحيط (١٢١٦).

(٥) ساقطة من (ب).

(٦) الناصية: منبت الشعر في مقدم الرأس. انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٧١٧).

(٧) العارضان: جانباً الوجه. انظر: المصدر نفسه (١/ ٢٩٦).

(٨) في (أ) و(ب): بسباتك.

(٩) العنوف: الشديد. انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٥).

شجار الفتنة، وهذا الشيطان ينتظر الشتات والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء، لا ينجي منه إلا بعض الناجذ على الحق، وإسلام النفس لله فيما يحوز رضاه، ولا بد الآن من قول إذ قد ضر السكوت، وخيف غبه، وقد صافاك من أحيا مودته لك بعتابك، ما هذا الذي سولت لك نفسك، وتروى به قلبك، أعجمة بعد إفصاح، أتلبيس بعد إيضاح، أدين غير دين الله، أمثلي تمشى^(١) له الخمراء، وتذب له الضراء^(٢)، أمثلك يقض به الفضاء، وتكشف وتكشف في عينه القمراء، ما هذه القعقة بالشنان^(٤)، وما هذه الوعوعة^(٥) باللسان، إنك جداً عارف باستجابتنا لله ولرسوله، وخروجنا من أموالنا وأوطاننا وأحبتنا؛ هجرة إلى الله تعالى تقدس، ونصرة لدينه، وأنت في جن الصبي، وعزة الغرارة^(٦)، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالاً تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالاً تشيب النواصي، خائضين غمارها، راكبين تيارها؛ لحكم أساسها، ونبرم أمراسها^(٧)، والصدور تستعر بالغيظ، والأرض تميد بالخوف،

(١) في (ب): يمشى.

(٢) في (ب): الصلة.

(٣) في نهاية الأرب: أمثلي تمشى إليه الضراء، وتذب له الخمر. (٢١٨/٧).

(٤) القعقة بالشنان: صوت القربة البالية إذا تحركت. انظر: الصحاح للجوهري (١٢٦٩/٣) (٥/٢١٤٦).

(٥) الوعوعة: صوت الذئب. انظر: المصدر نفسه (١٣٠١/٣).

(٦) الغرارة: يطلق على الذي لم يجرب الأمور. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٦/٨).

(٧) الأمراس: الحبال. انظر: الصحاح (٩٧٧/٣).

ولا ندفع في نحر أمر حتى نحس بالموت دونه، فأدين في كل ذلك رسول الله ﷺ بالأب، والأم، والخال، والعم، والمال، والنشب^(١)، والسيد، واللبد^(٢)، بطيب أنفس، وقرة أعين، وثبات عزائم، وصحة عقود، وتأكيد عهود، وهذا إلى خفيات أسرار، ومكنونات أخبار كنت عنها غافلاً، ولولا سنك لم تكن عن شيء منها ناكلاً، وعن علم أقول ما تسمع، فارتقب زمانك، وقلّص أردانك^(٣)، ودع التحبس والتعبس بمن لا يضلع لك إذا خطأ، ولا يتزحزح إذا عطا، فالأمر غض^(٤)، والوقت بض^(٥)، وأنت أديم^(٦) هذه الأمة فلا تحلم لجاجاً، وماؤها العذب فلا تحل أجاجاً، وسيفها العضب فلا تنبوا اعوجاجاً، والله لقد سألت / عن هذا الأمر رسول الله ﷺ فقال: هو لمن يقول هو لك، لا لمن يقول هو لي^(٧)، ولقد شاورني رسول الله ﷺ في الصهر فذكر فتياناً من قريش؟ فقلت له: أين أنت من علي بن أبي طالب؟ فقال: إني أكره لفاطمة مبيعة شبابه، وحدث سنة، فقلت له: متى كنته يدك، ورعته

(١) النشب: المال والعقار. انظر: الصحاح للجوهري (١/٢٢٤).

(٢) اللبد: الصوف. انظر: المصدر نفسه (٢/٥٣٣).

(٣) قلص أردانك: أي: ارفع أكمامك. انظر: المصدر نفسه (٣/١٠٥٣) (٥/٢١٢٢).

(٤) الغض: الطري. انظر: تهذيب اللغة (٨/٧).

(٥) يقال: بض الماء: أي: سال قليلاً قليلاً. انظر: الصحاح (٣/١٠٦٦).

(٦) في (ب): أدهم.

(٧) لم أجده.

عينك، حفت بهما البركة، وسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير^(١)، وكنت لك ذلك اليوم خيراً منك الآن لي، ولئن عرض بك رسول الله ﷺ في هذا الأمر، فلقد كنى عن غيرك، وإن كان قال فيك فما سكت عن غيرك، وإن تلجلج في صدرك شيء فهلهم، فإن الحكم مرضي، والصواب مسموع، والحق مطاع، ولقد قبض رسول الله ﷺ وكان عن هذه العصابة راضياً، وعليها حدباً^(٢)، يسره ما يسرها، ويكيده ما كادها، ولم يدع أحداً من أصحابه وأقربائه وشجرائه إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمزية، أظن^(٣) أنه ترك الأمة لا رائد لها ولا قائد، ولا ضابط ولا رابط، كلا والله ما اشتاق إلى ربه ورضوانه إلا بعد أن شذخ يافوخ^(٤) الشرك، وخذش وجه النفاق، وخرم أنف الفتنة، وبعد: فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك، في دار واحدة، وبيعة جامعة، إن استقاموا لك، وأشاروا إليك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلى آرائهم فيك، وإن تكن الأخرى؛ فادخل في صالح ما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والمرشد لضالهم، وقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، وأوعز إلينا بالتناصر على الحق، ودعنا نقضي [من]^(٥) هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل، ونلقى الله بقلوب سليمة من الضغن، وبعد:

(١) لم أجده.

(٢) الحدب: المشفق. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٤/٢٤٨).

(٣) في (ب): أظن.

(٤) اليافوخ: الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل. انظر: الصحاح للجوهري (١/٤١٨).

(٥) زيادة من (ب).

فإن الناس ثمانية^(١)، فارقهم بهم، وأحن عليهم، ولا تشق نفسك بنا خاصة فيهم، واترك فاحم ((الحقد))^(٢) حصيداً، وطائر الشر واقعاً، وباب الفتنة مغلقاً، ولا قال ولا قيل، والله عز وجل على ما نقول شهيد، وبما نحن عليه بصير.

فقال عمر لأبي عبيدة: قف لي بالباب هنيهة، فإن لي معك ذرواً من القول، فوقفت ما أدري ما كان بعدي، إلا إنه لقيني بوجه يبدي تهلاًلاً، فقال لي: قل لعلي: الرقاد محلمة^(٣)، واللجاج ملحمة^(٤)، والهوى مقحمة^(٥)، وما منا إلا له مقام معلوم، وحق مشاع أو مقسوم، ونبأ ظاهراً أو مكتوم، وإن ((أكيس))^(٦) الكيس^(٧) من منح الشارد تألفاً، وقارب البعيد تطفأً، ووزن كل أمر بميزانه، ولم يخلط خبره بعيانه، ديناً كان أو دنياً، ولا خير في معرفة

(١) الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيهه بالخوص، وربما حشي به وسد به خصاص البيوت، والواحدة ثمامة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥/ ١٨٨١).

(٢) في (أ): الحدق.

(٣) المحلمة: ما يراه في المنام، من الأشياء التي لا حقيقة لها. انظر: الصحاح للجوهري (٥/ ١٩٠٣).

(٤) اللجاج: الخصومة.

الملحمة: موضع القتال. انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٦٨)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (٢٠٣).

(٥) المقحمة: يقال: قحم في الأمر قحوماً: أي: رمى بنفسه فيه من غير روية. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (١١٤٦).

(٦) في (أ): الكيس.

(٧) الكيس: العاقل. انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٧٢).

مشوبة بنكرة، ولا في عمل معتمل في جهل، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لعي ولي^(١)، ولا كلامها اليوم لرتق أو فتق^(٢)، قد جدع الله أنف كل ذي كبير، وقصم / ظهر كل جبار، وقطع لسان كل كذوب، فماذا بعد [أ/١٨٩] الحق إلا الضلال، ما هذه الخنزوانة^(٣) التي أراها في فراش رأسك، وما هذا الشيء المعترض في معارج أنفاسك، وما هذا الدخس واللدس^(٤) اللذان يدلان منك على ضيق الباع^(٥)، وخور^(٦) الطباع، وما هذا الذي لبست بسببه جلد النمر، واشتملت عليه بالشحناء، ولقد ((خرج))^(٧) رسول الله والأمر مقيد محبس، ليس لأحد فيه ملمس ولا مأنس، لم يسرفيك قولاً، ولم يستنزل فيك قرآناً، ولم يجزم في شأنك حكماً، ولسنا في كسروية كسرى، ولا قيصرية قيصر، بل نحن في نور نبوة، وضياء رسالة، وثمره حكمة وأثرة، ورحمة بين أمة مهديّة بالحق، مأمونة على الرتق والفتق، أتظن ظناً أن أبا بكر

(١) العي: خلاف البيان.

الي: المظل. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥ / ٣١٩)، الصحاح للجوهري (٦ / ٢٤٤٢).

(٢) الرتق: إلحام الفتق وإصلاحه.

الفتق: الشق. انظر: تهذيب اللغة (٩ / ٦١)، الصحاح (٤ / ١٥٣٩).

(٣) الخنزوانة: الكبير. انظر: تهذيب اللغة (٧ / ٩٦).

(٤) الدخس: اندساس شيء تحت التراب. انظر: المصدر نفسه (٧ / ٧٥).

(٥) الباع: قدر مد اليدين، وربما عبر بالباع عن الشرف والكرم. انظر: الصحاح (٣ / ١١٨٨).

(٦) الخور: الضعف. انظر: المصدر نفسه (٢ / ٦٥١).

(٧) في (أ): حرج.

وثب على هذا الأمر خادعاً لها، ومتسلطاً امتلخ^(١) أحلامها، وأزاغ أنصارها،
وأحال عقولها، واستل من صدورهم حميتها، إن كان هذا هكذا؛ إن سحره
لمبين، وإن كيده لمتين، كلا والله بأي خيل ورجل، وبأي سنان ونصل^(٢)، وبأي
ذخيرة وعدة، وبأي أيد وشدة، وبأي عشيرة وأسر، لقد أصبح عندك بها
وسمته منيع الرقبة، رفيع العتبة، لا والله لكن سلا عنها فولت به، وتطامن
لها فلصقت به، ومال عنها فمال إلىه، وانشمر^(٣) دونها فاشتملت عليه، حباءً
حباه الله تعالى بها، ونعمة سربله جمالها، وأمة نظر الله به إليها، وطالما خلقت
فوقه من أيام النبي ﷺ وهو لا يلتفت لفتها، ولا يرتصد وقتها، والله تعالى
أعلم بخلقه، وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة، وإنك بحيث لا يجهل^(٤)
موضعك من ثبوت^(٥) النبوة، ومعدن الرسالة، ولا يجحدك حقك فيما آتاك
ربك، ولكن لك [من]^(٦) يزاحم بمنكب أضخم من منكبك، وقربى أمس
من قرباك، وسن أعلى من سنك، وسيادة لها عرق في الجاهلية وفرع في

(١) الامتلاخ: الانتزاع. انظر: تهذيب اللغة (١٨٤/٧).

(٢) النصل: حديدة السهم والرمح، والسيف ما لم يكن له مقبض. انظر: القاموس المحيط للفيروز
آبادي (١٠٦٢).

(٣) في (ب): واستمر.

(٤) في (ب): تجهل.

(٥) في (ب): بيت.

(٦) زيادة من (ب).

الإسلام والشريعة، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تذكر في مقدمة منها ولا ساقاة، أما الصديق فلم يزل محبة رسول الله، وعلاقة همومه، وعيبة سره، ومفزع أمره في رأيه ومشورته، وراحة كفته، ومرفق طرفه، وذلك كله بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار، شهرته مغنية من الدلالة عليه، ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله ﷺ قرابة، ولكنه أقرب منك قرابة، والقرباة لحم ودم، والقربة روح ونفس، وهذا فرق عرفه المؤمنون وصاروا إليه أجمعين، ومهما^(١) شككت فيه؛ فلا تشك أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل الطاعة، فادخل فيها فهو خير لك اليوم، وأنفع لك غداً، والفظ من فيك بلهاتك^(٢)، وانفت سخيمة^(٣) قلبك عن ثقاتك، فإن يكن من^(٤) من^(٥) الأمر [طول]^(٦)، وفي الأجل فسحة، فستأكله هنيئاً، أو غير هنيء وستشربه مريئاً أو غير مريء، حين لا راد لك إلا من كان / منك، ولا تابعاً [١٩٠/أ] لك إلا من كان طامعاً فيك، يمض إهابك^(٧)، ويزري^(٨) على هديك، هنالك

(١) في (ب): ومنه ما.

(٢) اللهاة: الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم. انظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٨٧).

(٣) السخيمة: الموجددة في النفس والحقد. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ٩١).

(٤) في (ب): في.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) الإهاب: الجلد. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (٦٠).

(٧) الزاري على الإنسان: الذي لا يعده شيئاً وينكر عليه فعله. انظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٦٨).

تقرع السن من ندم، وتشرب الماء ممزوجاً بدم، والله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغة، وغيب هو شاهده، وهو الولي الحميد.

قال أبو عبيدة رحمه الله: فمشيت ((متزماً))^(١) كأنني أخطو على أم رأسي، فرقاً من الفرقة، وشفقة على الإمامة، حتى وصلت إلى علي بن أبي طالب رحمه الله، فبثت الحديث كله عليه، وبرئت منه إليه، فلما سمعها وسرت في أو [صاله]^(٢) حمياها، قال: حلت معلوطة^(٣) وولت مخروطة^(٤)، حلي حلي لأخليه فالتعس أدنى لها من أقول لعا^(٥)،

وتمثل بيت آخر:

إِخْدَى لِيَا لِيَكْ فَهَيْسِي هَيْسِي لَا تَنْعَمِي اللَّيْلَةَ بِالتَّعْرِيسِ^(٦)

(١) في (أ): متزلاً.

والمتزمل: الملتف بثيابه. انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ١٥٢).

(٢) ساقطة من (ب).

(٣) المعلوطة: الناقة إذا وُسِمَتْ بالنار. انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٩٩).

(٤) المخروطة: السريعة من النوق. انظر: المصدر نفسه (٧/ ١٠٥).

(٥) انظر: ديوان الأعشى (٢/ ٣١).

لعا: يقال للعائر: لعا لك! دعاء له بأن يتعش. انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٨٣).

(٦) نسبة الجوهري للأسود بن عفار.

الهيس: السير الشديد. انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ٩٩٢)، تاج العروس للزبيدي (١٧/ ٤٧).

ثم قال: يا أبا عبيدة أهذا كله من^(١) نفس القوم قد احتبوا إليه، واضطبعوا عليه؟ فقلت: لا جواب لك عندي، أنا قاضي حق الدين، ورائق فتق الإسلام، وساد كلمة الأمة، يعلم الله ذلك من خلجان قلبي^(٢)، فقال علي عليه السلام: والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت مني قصد الخلاف، ولا إنكاراً لمعروف، ولا زراً على مسلم، بل لما وقّدي رسول الله صلى الله عليه وآله بفراقه، فأودعني الحزن بفقدته، وذلك لأنني لم أشهد بعده مشهداً إلا جد والله علي حزناً، وإن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره، على أنني علمت أن التظاهر عليّ واقع، ولي عن الحق الذي سبق إليه دافع، قد أفعم^(٣) الوادي، وحشد النادي من أجلي، ولا مرحباً بمن ساء أحداً من المسلمين، وفي النفس كلام؛ لولا سابق قول، وسالف عهد، لشفيت غيظي بخنصري وبنصري^(٤)، وخضت لجته بأخصي ومفرقي^(٥)، لكنني ملجم إلى أن ألقى ربي عز وجل، وعنده احتسب ما نزل بي، وأنا غادٍ إلى جماعتكم، ومبايع

(١) في (ب): في.

(٢) أصل الخلع: الجذب والنزع. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٠ / ٧).

(٣) أفعم: أمتلاً. انظر: الصحاح (٢٠٣ / ٥).

(٤) الخنصر: صغرى الأصابع.

والبنصر: الإصبع التي بين الوسطى والخنصر. انظر: تهذيب اللغة (٢٦٧ / ٧) (١٩١ / ١٢).

(٥) الأخص: خصر القدم.

المفرق: مجرى فرق الرأس بين الجبينين إلى الدائرة. انظر: المصدر نفسه (٢٤٧ / ٦) (٧٣ / ٧).

لصاحبكم، وصائر إلى ما سائني وسركم، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً،
والله على ذلك شهيد.

قال أبو عبيدة رحمه الله: فعدت إلى أبي بكر وعمر فقصصت القول على
غَرِّه^(١) وفره^(٢)، ولم أخترم شيئاً من حلوه ومره، وذكرته غدوه إلى المسجد، فلما
كان صباح يومئذ، وافى علي فخرق الجماعة، حتى جلس بجانب أبي بكر رحمه الله،
وبايعه، وقال خيراً، ووصف جميلاً، وجلس زميناً^(٣)، ثم استأذن بالقيام، فقال
له أبو بكر رحمه الله: إن عصابة أنت منها لمعصومة، وإن أمة أنت منها^(٤)
لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزاً علينا، كريماً لدينا، تخاف الله عز وجل إذا
سخطت، وترجوه إذا رضيت، ولولا أنني مسؤول؛ لما أجبت إلى ما دعيت
إليه، ولقد حط الله من ظهرك ما أثقل به كاهلي، ولقد أصبحنا إليك
محتاجين، وبفضلك عالين، وإلى الله تعالى في جميع الأحوال راغبين، ثم نهض
علي رحمه الله، فشيعه عمر رحمه الله تكرمة له واستئثاراً لما عنده، فقال له
علي رحمه الله: والله ما قعدت عن بيعته كارهاً، ولا أتيتته فرقاً منه، ولا أقول ما
أقوله تعلقة، وإني لأعرف منتهى طرفي، ومخطى قدمي، ومنزع قوسي،

(١) في (ب): عبره.

(٢) الغره: يقال: طويت الثوب على غره: أي على كسره الأول. انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٧٦٧).

(٣) فره: أي على حذقه. انظر: المصدر نفسه (٦/ ٢٢٤٢).

(٤) في (ب): فيها.

ولكنني قد أزمت^(١) على مأزم نفسي، ثقة بالله عز وجل في الأدالة^(٢) في الدنيا والآخرة.

/ فقال له عمر رضي الله عنه: مه يا أبا الحسن، كفكف عن غربك^(٣)، [أ/١٩١]
واستوقف سربك^(٤)، ودع العصا بلحائها^(٥)، والدلا على رشائها^(٦)، فإن الله تعالى من خلفها وورائها، إنا إن قدحنا أورينا^(٧)، وإن متحنا^(٨) أوعينا، وإن حككنا أدمينا، وإن نضحنا أورينا^(٩)، ولقد سمعت أمثلك التي لغوت بها، عن صدر قد أكل ((الجوى))^(١٠)، ولو شئت لقلت على مقاتلك ما لو سمعته ندمت على ما قلته، زعمت أنك قعدت في كسر بيتك لما وقدك رسول الله بفراقه، أفراق^(١١) رسول الله ﷺ وقدك وحدك، ولم يقد سواك، بل مصابه أعز

(١) أزم: أي: عض. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٠٧٥).

(٢) الأدالة: الانتقال من حال إلى حال. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢٤/١٤).

(٣) الغرب: الحد. انظر: القاموس المحيط (١١٩).

(٤) في (ب): بربك. السارب: الذهاب على وجهه في الأرض. انظر: الصحاح (١٤٦/١).

(٥) اللحاء: القشر. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٥٩).

(٦) الرشاء: الحبل. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٧٩/١١).

(٧) أورينا: من أورى الزند إذا ظهر منه النار. انظر: القاموس المحيط (٢٨٥).

(٨) الماتح: الذي يُخرج الدلو. انظر: الصحاح للجوهري (٤٠٣/١).

(٩) في (ب): أروينا.

(١٠) في (أ) و(ب): الجرى. والجوى: داء في الصدر. انظر: القاموس المحيط (١٢٧١).

(١١) في (أ): أفراق فراق.

وأعظم من ذلك، وإن من حق مصابه أن لا تصدع شمل الجماعة، التي لا عصام لها ولا رباط، ولا تزدهي على خيارها بما لا يوهن كيد الشيطان في غيابها، وهؤلاء العرب حولنا، والله لو تداعت في مصبح يوم لا يلتقي ممساه، ((وزعمت))^(١) أن الشوق إلى اللحاق كاف عن الطمع في غيره، فمن الشوق إليه نصره دينه ومؤازرة أولياء الله تعالى، ومعاونتهم فيه، وزعمت أنك عكفت على عهد رسول الله ﷺ وجمع ما^(٢) تبدد منه، فمن العكوف على عهده عهده الرأفة على خلق الله، والنصيحة لعباده، وبذل ما يصلحون به، ويرشدون إليه، وزعمت أنك علمت أن التظاهر واقع عليك، فأبي التظاهر وقع عليك، وأي حق سبق دونك، قد علمت ما قالت الأنصار بالأمس سراً وجهراً، وما تقلبت عليه بطناً وظهراً، فهل ذكرتك، أو شاركت^(٣) إليك، أو وجدت رضاها عندك، وهؤلاء المهاجرون من الذي قال بلسانه: أنك الذي تصلح لهذا الأمر، أو أومئ بعينه، أو همهم بشفتيه، أظن أن الناس ضلوا من أجلك، أو صاروا كفاراً زهداً فيك، وبايعوا^(٤) الله ورسوله تحاملاً عليك، لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحي، وتتوكف مناجاة الملك، ذلك

(١) في (أ): وزعمه.

(٢) في (ب): من.

(٣) في (ب): أشارت.

(٤) في (ب): وبايعوا.

أمر طواه الله تعالى بعد محمد ﷺ، كان الأمر معقوداً بأشرطة يسهل انحلالها إليك، كلا والله إن العناية لمخلقة^(١)، وإن الشجرة لمورقة^(٢)، ولا عجماء بحمد الله تعالى إلا وقد نطحت، ولا سوكاً إلا وقد ابتعت، ومن أعجب شأنك قولك: لولا سابق قول لشفيت غيظي، وهل ترك الدين لأحد على أهله أن يشفي غيظه بيده أو لسانه، تلك جاهلية قد استأصل الله تعالى شأفتها^(٣)، وأقلع جرثومتها، وهَوَّرَ^(٤) ليلها، وغور^(٥) سبلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدي والبرهان، وزعمت أنك ملجم، فلعمري إن من اتقى الله تعالى وآثر رضاه؛ أمسك لسانه، وأطبق فاه، وجعل سعيه لما وراه.

فقال علي عليه السلام: والله ما بذلت ما بذلت، وأنا أريد نكثه، ولا أقررت بما أقررت وأنا أبغي له حولاً، / وأنا أحسن الناس صفقاً على أثر الوفاق، [١/١٩٢] وبالله تعالى سلوة في كل حادث، وعليه أتوكل في جميع الحوادث، ارجع يا أبا حفص نافع القلب، مبرود الغليل، فسيح اللبان^(٦)، فليس وراء ما سمعت

(١) يقال: هذا مخلقة لذلك، أي مجدرة له. انظر: الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٧١).

(٢) المورقة: المكثرة. انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٢٢٣).

(٣) الشأفة: الأصل. انظر: المصدر نفسه (١١/ ٢٩٢).

(٤) هور الليل: إذا ذهب أكثره. انظر: المصدر نفسه (٦/ ٢١٧).

(٥) الغور: القمر من كل شيء. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (٤٥٢).

(٦) اللبان: الصدر، أو وسطه، أو ما بين الثديين. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٢٢٩).

وقلت؛ إلا ما يشد الإزر، ويحط الوزر، ويضع الإصر، ويجمع الألفة، ويرفع الكلفة، ويوقع الرأفة، بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه^(١). [انتهى.

(١) انظر: نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد البكري النويري (٢١٥/٧)، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (٣٤٥/٢)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية. وهذه الرسالة لم أجدها في غير هذين الكتابين.

وقال النويري مبيناً سبب هذه القصة وإيرادها في كتابه: "وهذه الرسالة قد اعتنى الناس بها، وأوردها في المجاميع، ومنهم من أفردتها في جزء، وقطع بأنها من كلامهم ~~هشبه~~، ومنهم من أنكرها ونفاها عنهم، وقال: إنها موضوعة، واختلف القائلون بوضعها، فمنهم من زعم أن فضلاء الشيعة وضعوها، ومنهم من زعم أن فضلاء السنة وضعوها، والله أعلم؛ وعلى الجملة فهذه الرسالة لم نوردتها في هذا الكتاب إثباتاً لها أنها من كلامهم ~~هشبه~~ ولا نفيًا، وإنما أوردناها لما فيها من البلاغة، واتساق الكلام، وجودة الألفاظ". نهاية الأرب في فنون الأدب (٢١٤/٧).

وهذه الرسالة رويت عن أبي حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي، وهو كذاب، ومتفلسف، وصاحب زندقة وانحلال. والراجح والله أعلم أن هذه الرسالة لا تصح وهي موضوعة لعدة أمور: الأمر الأول: أن أبا حيان عندما سأل عن هذه الرسالة قال: "هذه الرسالة عملتها رداً على الروافض، وسببها أنهم كانوا يحضرون مجلس بعض الوزراء يعني ابن العميد فكانوا يغفلون في حال علي، فعملت هذه الرسالة". فقد اعترف بوضعها.

الأمر الثاني: أن فيها من التملق الشيء الكثير، والصحابة ~~هشبه~~ كانوا بمعزل عن التملق.

الأمر الثالث: أن فيها من كلام الفلاسفة الشيء الكثير.

الأمر الرابع: ما تضمنته الرسالة من عدم الجزالة التي تعرف من طراز كلام السلف.

قال الذهبي ~~رحمته~~: "قد رأيتها - أي الرسالة -، وسأثرها كذب بين".

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/١٢٠)، لسان الميزان لابن حجر (٧/٣٨).

وها هنا فوائد محررة منقولة بالأسانيد:

منها ما اتفق بين أبي بكر وعلي عليه السلام قبل مبايعة علي عليه السلام له، وذلك أن علياً عليه السلام أرسل إلى أبي بكر عليه السلام أن ائتنا ولا تأتينا معك أحد، وكره أن يأتي معه عمر عليه السلام لما يعلم من شدته، فقال عمر عليه السلام: لا تأتيتهم وحدك، قال أبو بكر عليه السلام: والله لا تينهم وحدي، ما عسى أن يصنعوا بي، قال: فانطلق أبو بكر عليه السلام حتى دخل على علي عليه السلام وقد جمع بني هاشم عنده، فتشهد علي عليه السلام، وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فإنه لم يمنعنا يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك، ولا نفاسة لخير ساقه الله إليك، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبدوت علينا به، ثم ذكر علي عليه السلام قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحقهم وعدد ماثره ومفاخره، ولم يزل علي عليه السلام يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر عليه السلام، فلما صمت علي عليه السلام تشهد أبو بكر عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فوالله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أمثال من قرابتي، وإني والله ما ألوت في هذه الأموال، التي كانت بيني وبينكم غير الخير، ولكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة، وإنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المال»، وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله فيه إلا صنعته إن شاء الله تعالى. انتهى.

ثم إن علياً عليه السلام وعده بالموافاة إليه للبيعة، وأنجز وعده، أقول: وقد تقدم أن سيدنا علياً عليه السلام استوعب ذكر جل مفاخره في داره يومئذ،

ولم يتعرض إلى ذكر النص الجلي الذي يزعمه الرافضة، وأنه عليه السلام لما أبطأ في الميعاد، وحضر إليه أبا عبيدة عليه السلام بالرسالة السابق ذكرها، وحضر علي عليه السلام عن طيب قلب، وانشرح صدر، وبايع الصديق عليه السلام، فجمع شمل الأمة على أتم نظام، وأنجز الله وعده لنبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وتمت به النعمة، وبذلك سبق علمه، وظهر ما علم سبحانه وقوعه قبل وقته، وما علم وقوعه وسبق في علمه لم يجز إلا بإرادته ومشيئته، ومن زعم أن ذلك جرى على غير مراده فقد افترى إثماً مبيناً، ومن رضي بما قضاه الله تعالى، وفوض الأمر إليه فقد فاز فوزاً عظيماً، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

تمت بعون الله تعالى، وحسن توفيقه، في اليوم المبارك: الثاني من شهر الله المحرم الحرام، افتتاح فضل مديد سنة ٩٩٨، على يد الفقير: محيي الدين الدمشقي البلدة، ابن أخي مؤلف هذا الكتاب المعتمد، دام له وافي المدد، ووافر المدد، من الإله الفرد الصمد، تقدر جلاله^(١)

(١) ساقطة من (ب).